

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:

القبيلة ببلاد المغرب بين المدرستين الفرنسية
والأنجلوساكسونية
- مقارنة تاريخية -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إشراف الأستاذ:

أ.د/ مفتاح خلفات

إعداد الطالبة:

• مبرك سماح

لجنة المناقشة		
الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/ مفتاح خلفات	جامعة محمد بوضياف	مشرفاً ومقرراً

السنة الجامعية: 2018-2019 م / 1439-1440 هـ



شكرى وسبحان

قال الله تعالى: ﴿... لِيَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾ ((سورة ابراهيم)) الآية 7.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

أتقدم بخالص الشكر والإمتنان والعرفان بالجميل للأستاذ الفاضل "مفتاح خلفات"، الذي وجدت فيه نعم الأستاذ والموجه الذي أفادني بكرم توجيهه وتشجيعه.

كما أشكر له إخلاصه في تقديم العون من أجل تقديم بحث مُشرف.

الإهداء

الحمد لله مهما حمدنا لن نستوفي حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدي ثمرة جدي هذا:

إلى اللذان مبادئهما نعمة طريق الفلاح وبهما تربعت على عرش النجاح، إلى أُمي الغالية الحنونة "نورة"، وإلى أبي الغالي "عمر"، أطال الله في عمرهما وأسعدهما الله بخول الجنة.

إلى سندي في هذه الحياة ورموز الأمل "صابر"، "هاني"

إلى أوسمة الشرف وكتفي في الحياة، إلى فروع الشجرة الطيبة: منى، كنزة، وردة، سلمى، وأزواجهم وأولادهم، والجوهرة الثمينة "منار".

إلى زوجي الكريم "هشام" حفظه الله ورعاه، وإلى أمه أطال الله في عمرها.

إلى كل من يحمل لقب "مبارك"

إلى رفيقات دربي وكاتمات أسراري، مروة، بثينة، عفاف.

إلى دفعة تاريخ الغرب الإسلامي 2019 LMD

إلى كل هؤلاء أهدي خلاصة جهدي المتواضع، سائلة من الله العلي القدير السداد والرشاد.

جدول المختصرات

الرمز	معناه
تر	ترجمة
تح	تحقيق
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
د ع	دون عدد
هـ	هجري
م	ميلادي



مقدمة

مقدمة:

لا شك أن موضوع القبيلة ببلاد المغرب من أهم المواضيع التي تستحق الدراسة والبحث العلمي، وذلك من أجل إبراز دورها التاريخي والاجتماعي من خلال معرفة أهميتها في تنظيم المجتمع وتحديد جغرافيته وطبيعته وخصوصيته ونشاطه، بالإضافة إلى دورها السياسي، لأنها كانت تلعب دوراً كبيراً في قيام الدول وإنهيارها.

لذلك حظيت باهتمام كبير من طرف الباحثين خاصة منهم المستشرقين والأنثروبولوجيين الذين روجوا للطرح الاستعماري الفرنسي، وفق نظرية الكولونيالية والطرح الأنجلوساكسوني وفق نظريته الانقسامية، حيث تعتبر هاتان النظريتان من أهم المقاربات التي عالجت الموضوع من مختلف جوانبه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

أهمية الموضوع:

ومن هنا لا بد من تسليط الضوء على أهم الأطروحات الإستشراقية ونظرتها للقبيلة المغربية، ولذلك فإن موضوع "القبيلة ببلاد المغرب بين المدرستين الفرنسية والأنجلوساكسونية - مقارنة تاريخية"، من أهم المواضيع الاجتماعية والفكرية التي تخوض في هذا الميدان وتغوص فيه جيداً.

أسباب اختيار الموضوع:

- ومن أهم العوامل التي أدت بي إلى اختيار هذا الموضوع، نذكر:
- بعد طرح الأستاذ المشرف هذا الموضوع، ارتأيت اختياره والبحث فيه.

- تنمية مدركاتي العلمية والمعرفية في هذا الجانب والتعرف على القبيلة المغربية وكيف نظرت إليها الأطروحات الاستشراقية.

الإشكالية:

وبناء على ما سبق يجدر بي طرح التساؤلات الآتية:

- كيف نظرت الكتابات التاريخية للقبيلة المغربية؟ وما هي نظرة المدرسة الاستشراقية بشقيها الفرنسي الكولونيالي والأنجلوساكسوني الانقسام؟
- وقد تفرعت عن هذا التساؤل، تساؤلات فرعية:
- من هم رواد كلا من المدرستين؟ وما هي أهم المرتكزات التي اعتمدت عليها في تحليلاتهم وتعليقاتهم وشروحاتهم حول القبيلة ببلاد المغرب؟
- وما هي أهم النتائج المستخلصة من المقارنتين؟

خطة البحث:

وللإجابة على هذه الإشكاليات اعتمدت خطة رأيت أنها تتناسب وموضوع الدراسة، تكونت من مقدمة والتي شملت تمهيد وإحاطة حول الموضوع مع إبراز أهميته ودوافع البحث فيه، ثم طرحت التساؤلات المراد معالجتها في صلب الموضوع بالإضافة إلى عرض أهم مضامين البحث، كما أوردت أهم المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها، ثم متن الموضوع، والذي يتكون من فصلين، الفصل الأول بعنوان: مفهوم القبيلة، يندرج ضمنه ثلاث عناصر، العنصر الأول التعريف اللغوي، والعنصر الثاني التعريف الاصطلاحي، وركزت فيه على تعريف ابن خلدون وتعريف علماء الاجتماع، أما العنصر الثالث تحدثت فيه عن المكون القبلي بما فيه شيخ القبيلة.

أما الفصل الثاني والأخير فقد خصصته للقبيلة المغربية والأطروحة الاستشراافية، تطرقت فيه إلى، المدرسة الفرنسية ونظرتها للقبيلة المغربية مع تبيان أهم الانتقادات الموجهة لها، ثانياً المدرسة الأنجلوساكسونية ونظرتها للقبيلة المغربية، كذلك ذكرت فيها الانتقادات الموجهة لها، ثالثاً، أهم النتائج المستخلصة من المقاربتين، كما أدرجت في هذا العمل قائمة المصادر والمراجع ومجموعة من الفهارس (فهرس الآيات، وفهرس الأعلام).

المنهج المتبع:

أما المنهج الذي ساعدني في دراسة الإشكاليات - سابقة الذكر - نذكر المنهج التاريخي لأنني بصدد دراسة ظاهرة تاريخية، والمنهج المقارن من خلال المقارنة بين المدرستين، وعرض كل مدرسة والأطروحة الخاصة بها، بالإضافة إلى المنهج الوصفي والتحليلي من خلال تحليل المعلومات واستقرائها.

المصادر والمراجع:

اعتمدت على نسبة قليلة فقط، نظراً لطبيعة الموضوع، ومن بينها نذكر:

أ / كتب التاريخ رغنوالحوليات: أهمها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ)، خاصة في جزئه الأول المقدمة والذي تحدث فيه عن القبيلة وبصفة خاصة على العصبية القبلية، وكتاب نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري شهاب الدين أحمد عبد الوهاب (ت 733هـ)، والذي حققه مفيد قميحة في طبعته الأولى، أفادني في معرفة المكون القبلي وفروعه.

ب / كتب الموسوعات والمعاجم: نذكر أهمها كتاب لسان العرب لابن منظور جمال الدين عمر بن مكر الأنصاري (ت 711هـ)، الذي حققه أحمد أمين عبد الوهاب ومحمد

الصادق في طبعته الثالثة، وكتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي محي الدين ابن فيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ)، حقق من طرف علي بشرى، والليان أفادني في التعريف اللغوي للقبيلة.

أما المراجع التي أفادتي كثيرا، نذكر من بينها، كتاب سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي لمؤلفه محمد نجيب بوطالب، في طبعته الأولى، وقد أفادتي تقريبا في جل الموضوع، بالإضافة إلى كتاب مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين لمؤلفه القادري بوتشيش، اعتمدت عليه في الدراسات الانثروبولوجية التي تحدثت عن القبيلة.

الصعوبات:

ومن بين الصعوبات التي واجهتني هي كالاتي:

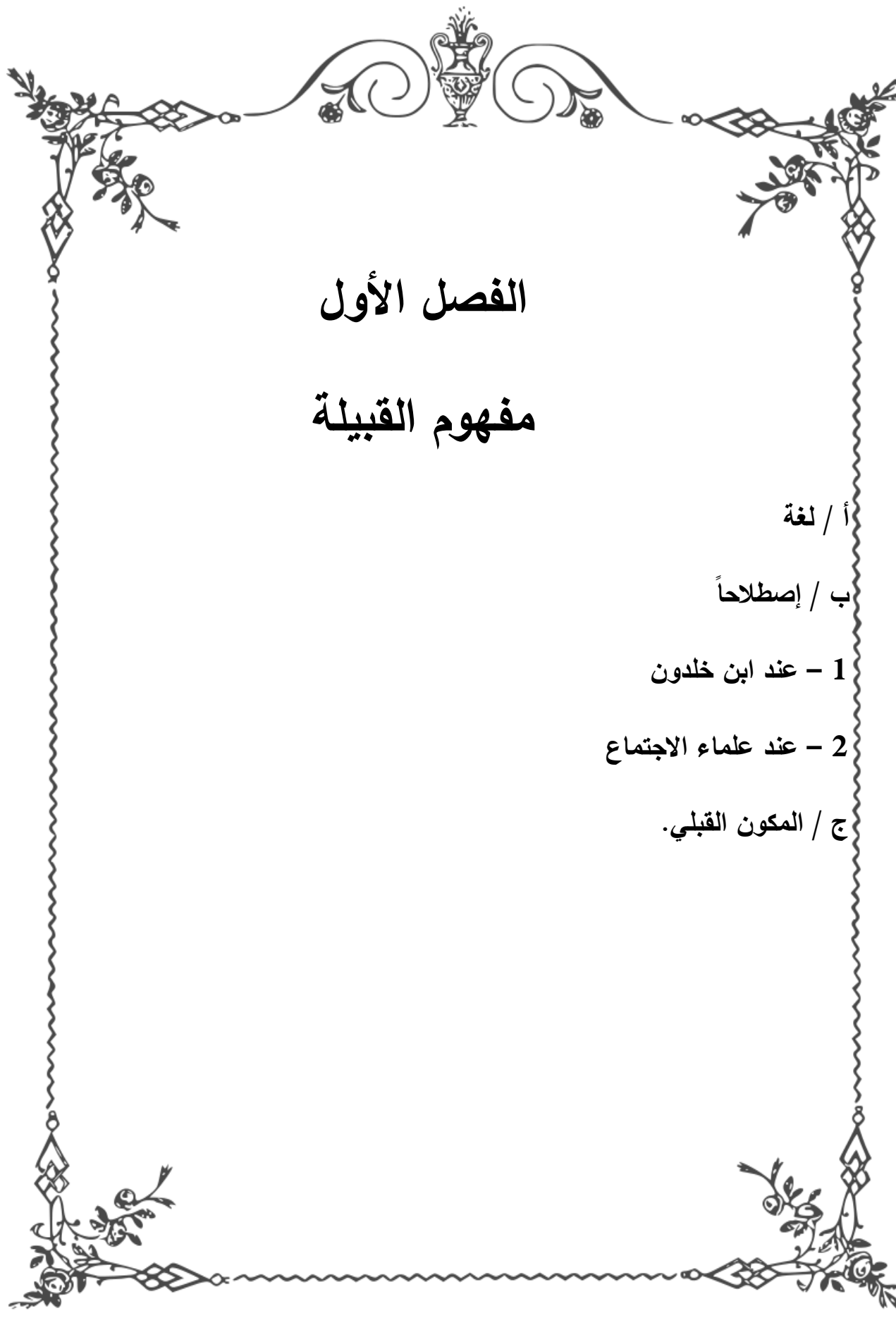
- عدم توفر مصادر متخصصة تتحدث عن الموضوع.
- توفر بعض المراجع الأجنبية التي تخدم الموضوع، لكن بسبب ضيق الوقت وصعوبة الترجمة لم أعتمد عليها، لعل أهمها: les berberes et le makhzem par Rober Montagne.

الشكر:

وفي الأخير آمل أن أكون قد ألممت بجوانب الموضوع، كما أنني أرجوا أن أكون قد ساهمت ولو بجهد متواضع في إبراز أهم الأطروحات الاستثنائية التي تناولت موضوع القبيلة ببلاد المغرب.

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان بالجميل للأستاذ الفاضل: "مفتاح خلفات" الذي وجدت فيه نعم الأستاذ والمشرف، والذي أفادني بكرم توجيهه وتشجيعه، كما أشكر له إخلاصه في تقديم العون من أجل تقديم بحث مشرف.

كما أشكر كل من مد لي يد المساعدة سواء من قريب أو من بعيد.



الفصل الأول

مفهوم القبيلة

أ / لغة

ب / إصطلاحاً

1 - عند ابن خلدون

2 - عند علماء الاجتماع

ج / المكون القبلي.

الفصل الأول: تحديد مفهوم القبيلة (لغة واصطلاحاً)

أ- التعريف اللغوي:

ورد مصطلح القبيلة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾¹.

أما صاحب لسان العرب فقد عرف القبيلة أعطاها عدة شروحات فالقبيلة من الناس: بنو أب واحد، وهي من قبائل العرب وسائرهم من الناس، ويقال القبيلة من ولد إسماعيل عليه السلام، كالسبط من ولد إسحاق عليه السلام كما يقال: لكل جماعة من واحد قبيلة، ويقال لكل جمع من شيء قبيل²، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾³.

والقبيلة بهاء واحدة وهي قبائل الفتح والجفنة إذا كانت على قطعتين أو ثلاث قطع، ويقال: كادت تصدع قبائل رأسي من الصداق وهي شعبه، وقال أبو العباس: أخذت قبائل العرب من قبائل الرأس لاجتماعها، وجماعتها الشعب والقبائل دونها، وأضاف الزجاج: القبائل من قبائل الشجرة وهي أعضائها⁴.

¹ - سورة الحجرات، الآية 13.

² - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) (ت 711هـ): لسان العرب، تح: أحمد أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ج11، ص 22.

³ - سورة الأعراف، الآية 27.

⁴ - الزبيدي محي الدين ابن فيض السيد محمد مرتضي الحسني ت (1805هـ): تاج العروس من جواهر القاموس تح علي بشرى، د ط، ج30، ص 217.

ويعرفها صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه (ت 368هـ): "إنما قيل للقبيلة لتقابلها وتناظرها، وأن بعضها يكافئ بعضاً..."¹. كما تعني أيضاً قبائل الرأس للقطع المشعوب بعضها إلى بعض، وصخرة على رأس البئر². وهنا ك من يرجع القبيلة إلى المرتبة الثانية ضمن المجموعات البشرية، فالقلقشندي جعل الشعب في قمة المراتب، ومن تفرع القبائل التي سميت كذلك لتقابل الأنساب فيها³.

ب) - التعريف الاصطلاحي:

1) عند ابن خلدون:

حسب تعليق بوتشيش فإنه يرى أن كتابات ابن خلدون تعتبر بمثابة حجر الزاوية بالنسبة لموضوع القبيلة وأهميتها في تاريخ المغرب⁴ فقد أولاه أهمية كبيرة ومثال على ذلك نجد كتابة "العبر" يركز بالأساس على القبيلة أو بمفرداتها الأخرى (كالعصبية⁵ والبنية القبيلة...).

فقد أعطى لها بعد آخر حين لم يجعل الأنساب إلى القبيلة إلى جد واحد وما تجمع بين أعضائها من روابط الدم، وهنا النسب ليس في معناه الضيق وإنما في معناه الواسع

¹ - العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترجمي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، 1983، ص 289.

² - الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقوسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة (1426هـ / 2005م)، ص 1046؛ الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح- تاج اللغة والصاحح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، القاهرة 1984، ج5، ص 1797؛ الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، (538هـ): أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج2، ص 49.

³ - القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي لمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (دط)، دار الطباعة والنشر، بيروت، دت، ص 218.

⁴ - نفسه، ص 216.

⁵ - العصبية في تعريفها اللغوي تعني المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعناه أي نصرنا، وعصبية الرجل قومه الذين يتعصبون له، وعصب القوم: خيارهم وعصبوا به اجتمعوا حوله: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج9، ص 233.

والرمزي¹، فقد ذكر وقال: "وذلك أن صلة الرحم طبيعتي في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النعمة على ذوي القرية وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة" فإذا كان النسب² المتواصل بين المتناظرين قريباً جداً بحيث حصل به الاتحاد والالتحام... وهذا الباب الولاء والحلف³ إذ نعمة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتمام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجه النسب⁴.

وفي هذه الحالة يكتسب الفرد أو الجماعة النسب الجديد وتطبق عليهم الالتزامات القبلية من النصرة والقوة وحمل الدايات وسائر الأحوال، وإذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد، وقد ينافس النسب الأول هؤلاء الملتحقين بطول الزمن ولا يعرفون إلا نسبهم الجديد وما يؤدي إل اختلاط الأنساب والشعوب في الجاهلية والعرب العجم⁵.

فابن خلدون (ت808هـ) يرى أن النسب هو الانتماء الفعلي إلى جماعة معينة، أي إلى عصبية ما وليس فقط الانتماء إلى جد مشترك، ومن هنا حسب رأيه فإن معصب الفرد لعصبته إنما يرجع إلى الألفة وطول المعاشرة وما ينتج عن ذلك من شعبه بعاداتها وتقاليدها وبالروح الجماعية السائدة فيها، ومن ارتباط مصلحتها ووجوده بوجودها⁶.

¹ - محمد نجيب بو طالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، د ت، ص 56.

² - النسب: نسب القرابات وهو واحد الأنساب، ابن سيده، النسبية والنسبة والنسب: القرابة، وقيل هو في الآباء وكذا في البلاد، لبن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج14، ص 118.

³ - الحلف: التعاضد والتساعد والاتفاق وبالكسر تعني العهد يكون بين القوم والصدقة والحلف في الأصل المعاهدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، الزبيدي: تاج العبوس، المصدر السابق، ج23، ص 157.

⁴ - ابن خلدون الرحمان ابو زيد ولي الدين بن محمد الانسيبي (ت 808هـ): ديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، للمتنبى به خليل شحادة، د ط، دار الفكر، د ت، ج 1، ص 160.

⁵ - نفسه، ص 163.

⁶ - محمد حجي، قاموس معلمة المغرب، د ط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، الرباط، 1425-2004، ج19، ص 665.

كما يعتبر أن القبيلة قوة سياسية وأهم وأقدم الصور الاجتماعية حتى أنه يعتبرها منشأ الدولة فالملك والدولة العامة إنما يحصلان بالقبيلة والعصبية¹.

كما جعل الأرض (المكان) هو المحور الأساسي الذي من خلاله يتم التحام الجماعة وهذا ما يزيد الإحساس بالإنصهار ضمن الجماعة ويعزز تلاحمها الداخلي².

ومن خلال دراسة لبن خلدون لموضوع القبيلة، فقد كان يركز دائما على العصبية كعنصر فعال وأساسي، فابن خلدون يرى أن العصبية لا توجد في حالتها الطبيعية إلا في إطار البادية تحت ضغط ظروف العيش في الصحاري، وحيث تقتضي الحياة تماسك مستمر بين أفراد الجماعة القبلية³ لأنهم بعيدون عن التأثيرات الحضارية التي يسودها الظلم والشرف⁴، وأكد أن العصبية شرط أساسي لتأسيس الدولة⁵ لكنها ليست كافية وحدها وحدها في نظره لقيام دولة تسيطر على قبيلة أو اتحاد قبلي، لهذا دعا إلى ضرورة تواجد الالتحام والتماسك⁶، فقد قسم القبيلة حسب العصبية الغالبة فمنهم القبائل الغارمة التي ضعفت بسبب عصبيتها وهذا واضح في قوله «فإن القبيل الغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه، لأن في المغارم والضرائب فيها ومذلة لا تحتملها النفوس الأبية إلا إذا استهونتته عن القتل والتلف...»⁷.

¹ - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 81.

² - محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص 56.

³ - عبد اللطيف أكنوش، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، د ط، إفريقيا الشرق، تقدير فرانسوا بول بلان، جامعة الحسن الثاني، د ت، ص 31.

⁴ - علي الوردي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ط2، دار كوفان، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، 1994، ص 263.

⁵ - نفسه، ص 93.

⁶ - عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص 31.

⁷ - ابن خلدون، المصدر لسابق، ص 74.

فالقبيلة التي تصل للسلطة السياسية، سرعان ما تتسرب إليها الحضارة ورغد العيش والرفاهية المصحوبة بالانحلال وتلاشي تلف العصبية الأولى التي كانت سبب في القوة السياسية وقيام الدولة، وفي هذه الحالة تتحرك قبيلة بدوية جديدة، لا زالت محافظة على عصبيتها نحو الحكم والسلطة مطالبة بإصلاح عقائدي جديد وبتطبيق برنامج سياسي اجتماعي جديد وهكذا دواليك¹، أما النصف الثاني من القبائل فهي القبائل الرفضية وهي القبائل التي لا تدفع الضرائب للسلطة المركزية وتخرج من طاعتها².

(2) عند علماء الاجتماع:

لقد ارتبطت الأنثروبولوجيا³ الاجتماعية لضرورات تاريخية ومنهجية بدراسة المجتمعات التقليدية والبدائية⁴، لأن هذا المنهج يعتمد على الاتجاه البنائي الوظيفي الذي يركز على النظرة التكاملية الشاملة في دراسة المجتمع فعند دراسة المجتمع القبلي يجب الاعتماد على النظام السياسي لهذا المجتمع لأنه يستدعي بالضرورة إلى دراسة العلاقات القرابية وخاصة فيما يتعلق بنظام السلطة والعائلة والبنائي القرابي⁵.

¹ - عبد اللطيف أكنوش: المرجع السابق، ص 31.

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 86.

³ - الأنثروبولوجيا: هي علم يقوم بدراسة الإنسان من الناحيتين العضوية والثقافية على حد سواء، ويستخدم (الأمريكيون) مصطلح الأنثروبولوجيا الجسمية الفيزيائية physical anthropology للإشارة إلى دراسة الجانب العضوي أو الحيوي للإنسان، بينما يستخدمون مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية cultural anthropology ليعني مجموع التخصصات التي تدرس النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان، يدخل في ذلك الدراسات التي تتعلق بحياة الإنسان القديم؛ حسين فهميم: قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، د ط، منشورات عالم المعرفة، الكويت، جانفي 1978، ص 14.

⁴ - محمد عبده محجوب: الاتجاه السوسيولوجي في دراسة المجتمع، د ط، وكالة المطبوعات، الكويت، د ت، ص 56.

⁵ - نفسه، ص 58.

فالباحثون الاجتماعيون ينظرون للقبيلة على أساس أنها مرتبة اجتماعية تركز على ثنائية البدو الحضر، فهي ثنائية اقتصادية تقوم على طرق العيش والاستقرار السكاني ولا تقوم على أساس التنظيم الاجتماعي¹.

فالمجتمع المؤسس على القبيلة يتمتع بمرتبة اجتماعية، وعلى هذا الأساس صنف الباحث مراتب القبائل بثلاث وجعل المستوى الاقتصادي أساساً للتصنيف، فالقبائل التي تعتمد على الإبل في عيشها تكون في المرتبة الأولى، وفي المرتبة الثانية توجد القبائل التي تعتمد في عيشها على رعي الأغنام، أما الفئة الثالثة الموجودة في سلم التراتب الطبقي فهي الجماعات التي تعيش على تربية المواشي الحرف اليدوية².

فالقبيلة رغم المنزلة الاجتماعية³ والمجتمع القبلي يقوم على أساس السلطة أي على نشاط المجالس القبلية والمحاكم الدينية، كما يعتبر أن نظام الحكم القبلي محافظ على استمراريته بالتبدل والتغير، وذلك حسب مقتضى الأحوال وتقلب الظروف⁴.

أما تعريف معجم علم الاجتماع فإنه يدمج بين مفهومي القبيلة والأئمة ولكنه لا يعتمد على البعد القرابي، وكان تعريفه يعتمد على القبيل المغربية كنموذج أساسي لتحديد مفهوم القبيلة، وكان يعتمد على نظام التشريح القبلي وهذا التنظيم استعملته الكثير من الكتابات الفرنسية (دوركاييم) وموس في محاولتها تصنيف المجتمعات البدائية، ويعرف (بيشليير) القبيلة بأنها شكل انقسامي للتنظيم الاجتماعي يتكون من أقسام قاعدية يمثل كل

¹ - عاطف عطية: الدولة المؤجلة، دراسة في انثروبولوجيا القبيلة عند فؤاد خوري، مجلة الاجتهاد، العدد 17، السنة الرابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1992/1413، ص 204.

² - نفسه، ص 205.

³ - نفسه، ص 206.

⁴ - نفسه، ص 210.

منها أسرة ممتدة في عمق ثلاثة أو أربعة أجيال وكل قسم قاعدي يلتزم تلقائياً مع قسم آخر كلما شعر بتهديد أو خطر، وشيئاً فشيئاً يمكن أن تتحد القبيلة بأسرها¹.

أما محمد عاطف غيث ينظر للقبيلة على أنها نسق في التنظيم الاجتماعي، يتضمن عدة جماعات محلية مثل القرى والعشائر، يشتركون في ثقافة واحدة ولغة ويتمسكون بالوحدة والتضامن، كما ذكر غيث تعريف هوبت للقبيلة، حيث عرفها "بأنه تجمع كبير أو صغير من الناس يقطنون إقليماً معيناً، لهم علاقات اجتماعية خاصة بهم، أما بيدينغتون piddington فهو يرى أن القبيلة هي أكبر الوحدات في التنظيم الاجتماعي.

كما تعرف القبيلة أيضاً على أنها وحدة متماسكة من الناحية الاجتماعية مرتبطة بإقليم معين².

وتعرف رحمة بورقية في دراستها حول القبيلة في المجتمع المغربي، من منظور الأنثروبولوجيا القبيلة بأنها تتفرع إلى أقسام هي أقسام النسب الشجري لكنها تتوحد من جديد في الأصل الذي ينفي ما صنعه الانقسام، كما أنها تتفي بأن القبيلة شجرة جينالوجية تتصف بالتعدد وتبرر ذلك بأن أغصانها تمتد إلى أغصان شجرة أخرى لتضلل الترتيب المحكم الذي وضعته أيديولوجية النسب³.

¹ - محمد نجيب بو طالب: المرجع السابق، ص (55-56).

² - محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، د ط، دار المعرفة الجامعية، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2006، ص 453.

³ - رحمة بورقية: حول القبيلة في المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 14، جامعة محمد الخامس، الرباط، د ت، ص 36.

كما نرى أيضا بأن القبيلة عبارة عن كيان متحرك وحركتها هذه لا تتجلى على مستوى الترحال فقد بل أيضا في مجال التبادل الاقتصادي والرمزي وفي الحرب أيضا¹.

ويرى مورغن² أن القبيلة مكونة من مجموعة من عشائر، وهي عبارة عن مجتمع منظم، ينحدر من أصل واحد ويتميز بوجود اسم ولغة وسلطة ومنطقة جغرافية خاصة به.

وحسب مارشال ساهلين فإنه ينظر للقبيلة على أنها النمط العائلي للإنتاج وتتميز بوجود نظام واحد، وأن أغلبية المنتجات تخصص للاستهلاك المجموعات العائلية وقليلًا منه للتبادل³.

وقد تسرب استخدام مفهوم القبيلة (tribu) لدى بعض علماء الاجتماع المعاصرين الغربيين مثل: مافيزولي الذي استخدم مصطلح القبيلة للإشارة على الجماعات المتحدة فيم بينها. في حين يرى البعض الآخر أن مصطلح القبيلة يطلق على المجموعات المتقابلة والتي تكون دوائر شبه مغلقة⁴.

أما تعريف الفضل شلق فهو ينظر للقبيلة على أنها مجموع علاقات اجتماعية تنتج عند نمط محدد تفرضه ظروف البنية الطبيعية، وحسب رأيه أن القبيلة ليست جماعة بشرية منقطعة عن غيرها وعلى العالم الخارجي، فهي تقوم بمبادلات تجارية مع المدينة ومع الأجزاء الأخرى من المجتمع الحضري⁵.

¹ - رحمة بورقية، المرجع السابق، ص 37.

² - محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، د ط، دار الرياح الأريج، 1980، ص 14.

³ - نفسه، ص 15.

⁴ - محمد نجيب بو طالب، المرجع السابق، ص 63.

⁵ - الفضل شلق: القبيلة والدولة والمجتمع، مجلة الاجتهاد، العدد 17، المرجع السابق، ص 17.

وهناك تعريف آخر يرى القبيلة أنها ظاهرة تاريخية ظهرت في حياة البشر وفق شروط محددة وستزول في مرحلة معينة¹، كما أنها عبارة عن جسم اجتماعي دقيق التوازن، وهذا التوازن يظهر جليا من خلال نظام القرابة².

ويرى موريس غودو ليه أن عبارة القبيلة tribe مشتقة من العبارة tribus باللغة اللاتينية، والعبارة المرادفة لـ tribus هي phule باللغة اليونانية القديمة، وتعني ورقة (feuille)، فالقبيلة في روما القديمة مؤلفة من كيانات مشكلة من عدد من الرجال والنساء تربط بينهم علاقات قرابة تسمى المجموعات العشائرية وفي العموم تعني القبيلة عند موريس على أنها شكلا من أشكال المجتمع يتكون حين تقوم مجموعة من الرجال والنساء، يتمثلون أنفسهم على أنهم أقرباء وذلك عن طريق الولادة أو المصاهرة³.

كما تداول ريتشارد تابري ثلاث مفاهيم رئيسية عن القبيلة من طرف الانثروبولوجيين فقد عرفوا القبيلة وقالوا بأنها عبارة عن تجمعات سكانية منتشرة في أنحاء كثيرة من العالم، أما المفهوم الثاني فهو يشير إلى أن القبيلة عبارة عن نموذج اجتماعي لديه القدرة على التطور والارتقاء في ظروف معينة، وقد صيغ المفهوم الثالث أن القبيلة عبارة عن تجمعات سياسية تكتسب خصوصياتها بفعل حدودها الإقليمية⁴. كما وضع ريتشارد أن بعض الأنثروبولوجيين كانوا يعرفون القبيلة بما يناسب تحليلاتهم الذاتية، في حين يرى

¹ - تركي علي الربيعو: نحو تأسيس إناسة لدراسة المجتمع البدوي، قبيلة طيء نموذجا، مجلة الاجتهاد، العدد 17، المرجع السابق، ص 149.

² - نفسه، ص 160.

³ - موريس غودو ليه: القبائل والكيانات الانثوية والدول، محلية عمران، للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 15، المجلد الرابع، شتاء 2016، ص 151-152.

⁴ - ريتشارد تابري: الانثروبولوجيون والمؤرخون والقبيلة، حول القبيلة ونشوء الدولة في المشرق العربي، مجلة الاجتهاد، العدد 17، المرجع السابق، ص 109.

البعض الآخر أن القبيلة مجرد أوهام سوسيولوجية وهي ابتكار من صنع دوائر الاستعمار¹.

أما تعريفه للقبيلة فيقول "وفي ظني أن القبيلة لا تعدو كونها حالة ذهنية أو صياغة للواقع، أو نموذجاً للنظام والحركة، وفي هذا ما يدل على أن إطلاق تسمية {القبيلة} على تجمع ما، يعني أن نشير إلى وجه واحد من وجوها المتعددة، ثم ننكر هذا الوجه نفسه ... إن أفضل وسيلة لفهم طبيعة البنى القبلية... لا يزال وللأسف في مراحله الأولى...².

ج- المكون القبلي:

ورد في كتاب العقد الفريد "أن الشعب أكبر من القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة" وقال أيضاً أن "للشعب شعب لأنه أنشعب منه أكثر مما أنشعب من القبيلة وقيل لها عمائر، من الاعتماد والاجتماع وقيل لها بطون لأنها دون القبائل، وقيل لها أفخاذ لأنها دون البطون، ثم العشيرة وهي رهط الرجل ثم الفصيلة وهي أهل الرجل وخاصته"³.

ولقد تعرض النويري في ترتيب النوعي للمجتمعات البشرية إذ تدرج من الجذم كأول طبقة في المكون القبلي ثم انحدر إلى الجمهور ثم إلى الشعب ثم إلى القبيلة، إلى العمائر، ثم البطون، فالأفخاذ فالعشائر والفصائل وأخيراً الرهط كآخر مرتبة⁴. حيث أعطى لكل مرتبة تعريفاً خاصاً به فعرف الجذم بأنه أصله إما إلى عدنان وإما إلى

¹ - ريتشارد تابر، المرجع السابق، ص 111.

² - نفسه، ص 119.

³ - ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص 289.

⁴ - محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 11.

قحطان وقال بأن الجذم هو القطع، كما يقال جذم (بكسر حرف الجيم) أو جذم (بفتح حرف الجيم) وكذلك كثرة الاختلاف في عدد الأياء واسمائهم¹.

وأدرج في الطبقة الثانية الجماهير وعرفها بأنها التجمهر ومعناه الاجتماع والكثرة ومنه قولهم: جماهير العرب أي جماعتهم.

وفي الطبقة الثالثة تأتي الشعوب: مفردتها شعب (بكسر حرف الشين) أو شعب (بفتحها)، وهو الذي يجمع القبائل وتتشعب منه، كما شبه بالرأس من الجسم².

وفي الطبقة الرابعة تأتي القبيلة وتأتي بعد طبقة الشعب وهي تجمع العمائر وقد شبهها النويري بأنها بمنزلة الصدر من الجسد.

والطبقة الخامسة العمائر ومفردتها عمارة، وهي بعد القبائل، وهي التي تجمع البطون، كما أنها بمنزلة اليدين من الجسد.

والطبقة السادسة البطون، مفردتها بطن، وهي التي تجمع الأفخاذ، ثم تأتي الأفخاذ، ومفردتها فخذ أو فخذ وهي تجمع العشائر.

والطبقة الثامنة العشائر، ومفردتها عشيرة³، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁴، وهي بمنزلة الساقين من الجسد.

¹ - النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة وحسن نور الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ج2، ص 296.

² - نفسه، ص 302.

³ - نفسه، ص 302.

⁴ - الشعراء، الآية 214.

والطبقة التاسعة الفصائل، ومفردها فصيلة¹، قال الله تعالى ﴿وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾^{١٢} وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّسُ^{١٣} وهي بمنزلة القدم من الجسد.²

وآخر طبقة هي طبق الرهط، وهي أسرة الرجل وتأتي بمنزلة أصابع القدم³، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾^{٤٨}⁴.

وقد صنفها محمد نجيب بو طالب حسب التصنيفات المعتمدة في اللغات الأجنبية فخرج بالمقابلة الآتية⁵:

الجزم	race
الجمهور	ethnie
الشعب	peuple
القبيلة	tribu
العمارة	fraction
البطن	Sons-fraction
الفخذ	segment
العشيرة	clan
الفصيلة	lignage
الرهط	famille

¹ - النويري، المصدر السابق ص 302.

² - سورة المعارج، الآيات (12-13).

³ - النويري، المصدر السابق، ص 303.

⁴ - النمل، الآية 48

⁵ - محمد نجيب بو طالب، المرجع السابق، ص 54.

أما بالنسبة للقلقشندي فقد صنف طبقة الشعب هي الطبقة الأولى وقال بأنه سميت شعباً لأن القبائل تنشعب منه، ثم جعل في الرتبة الثانية القبيلة وسميت كذلك بالجماع، ثم الطبقة الثالثة تأتي العمارة (بكسر حرف العين) وتنقسم إلى أنساب القبيلة كقريش وكنانة، والطبقة الرابعة يأتي البطن وما ينقسم فيه أنساب العمارة كبني عبد مناف وبني مخروم، الطبقة الخامسة يأتي الفخذ وما أنقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم وبني أمية، فالطبقة السادسة الفصيلة وهي ما أنقسم فيه أنساب الفخذ¹.

وهناك تصنيف آخر صنفه القادري بوتشيش، فقد جعل الأسرة هي الخلية الأولى التي تتألف من أب وزوجة أو عدة زوجات وأبناء، ثم ترتفع إلى العشيرة التي تتكون من عدة أسر تتحدر من جد واحد، ثم ترتقي إلى العمارة أو البطن وهو الذي يجمع العشائر عن طريق المصاهرة والمصلحة المشتركة، وتنتهي في القمة بالقبيلة التي تضم عدة بطون تجمع بينهما وحدة الدم والنسب².

أما تصنيف عبد الحليم بركات فيرى أن البنية الاجتماعية البدوية تتكون من ثلاث دوائر رئيسية وهي: أولاً: الأسرة أو العائلة الصغيرة وتشمل الزوج والزوجة والأبناء، ثم الفخذ الذي يشكل دائرة ثانية تحيط بالأولى تتألف من عدة بيوتات أو أسر تنسب إلى جد واحد، أما الدائرة الثالثة وهي دائرة القبيلة التي تتألف من عدة أفخاذ³.

¹ - القلقشندي أبي العباس أحمد (ت812): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (1400هـ، 1980)، ص 13.

² - إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 231.

³ - حليم بركات: المجتمع المغربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، جويلية 2000، ص 192.

- شيخ القبيلة:

يعتبر شيوخ القبيلة هم سادة القبائل¹ فعلى رأس كل اتحاد قبلي شيخ ويعتبر الزعيم الأكبر سواء داخلاً أو خارجها² ويجرى اختياره ضمن دائرة العائلة الواحدة، وغالباً ما يتم التوريث السياسي أي من جيل إلى جيل، ويتم اختياره عن طريق الشورى، ويجب أن تتوفر فيه شروط السن، أي أن يكون كبيراً في السن³ فقد كان أعضاء القبيلة يجدون أنفسهم ملتفين حول الشيخ أثناء عمليات مراقبة أرض مشتركة أو عملية إستيلاء على مواردها⁴ فقد كانت ترجع إليه كلمة الفضل في جمع الأمور، وهذا ما جعل هذا النظام أكثر ديمقراطية فلا وجود السلطة الاستبدادية والاستعباد للآخر، لأن من أسس هذا النظام حرية إبداء الرأي بما يرضى أو يحقق مصالح القبيلة⁵.

¹ - نفسه، ص 198.

² - نفسه، ص 200.

³ - يعقوب يوسف الكندري، القبيلة والمفاهيم السياسية في المجتمع الخليجي المعاصر المجتمع الكويتي مثلاً، مجلة عمران، العدد 15، المرجع السابق، ص 54.

⁴ - هشام داود، القبائل العراقية في أرض الجهاد، مجلة عمران، المرجع نفسه، ص 11.

⁵ - يعقوب يوسف الكندري، المرجع السابق، ص 54.



الفصل الثاني

القبيلة المغربية والأطروحة الاستشراقية

أ / المدرسة الفرنسية ونظرتها للقبيلة المغربية.

ب / المدرسة الانجلوساكسونية ونظرتها للقبيلة المغربية.

ج / النتائج المستخلصة من المقاربتين.

تمهيد:

تعتبر المدرستان الكولونيالية والانقسامية من أهم الدراسات التي عالجت موضوع القبيلة في المغرب الأوسط، وقد كونت كل مدرسة مجموعة من الأفكار والنظريات أصبحت القاعدة الأساسية للدراسات الأنثروبولوجية والمونوغرافية حول تاريخ القبيلة¹ لكنهما كانا يشتركان في منظور واحد وهو المنظور الميكروسوسيولوجي للقبيلة الذي ينظر لها على أساس أنها جسما منعزلا ومنفصلا عن نفسه لا يتفاعل مع ما هو خارج عن حدوده².

(أ) - المدرسة الفرنسية الكولونيالية ونظرتها للقبيلة المغربية.

- شرح الكولونيالية: كلمة الكولونيالية مأخوذة من الكلمة الأجنبية (colomalisme) وحسب قاموس اكسفورد للغة الإنجليزية أنها مشتقة من كلمة كولونيا (colonia) التي تعني مزرعة أو مستعمرة، وأشارت إلى الرومانيين الذين استعمروا في أراضي أخرى إلا أنهم احتفظوا بجنسيتهم³.

كما يستخدم مصطلح الكولونيالية للإشارة إلى الفترة السابقة على الاستقلال، وهي فرض السيطرة بالقوة العسكرية من قبل القوى الكبرى ذات النفوذ على الشعوب الضعيفة،

¹ - مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ - 9هـ / 12م - 15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، ط1، المؤلفات للنشر والتوزيع، حمام الضلعة، المسيلة، 1937هـ - 2016م، ص 37.

² - رحمة بورقية، المرجع السابق، ص 35.

³ - آينا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007، ص 17.

كما نعتي أنها فائض طبيعي للقومية ويكون اختبارها هو قدرة المشعريين على تحرس الحضارة التي يمثلوها في البنية الاجتماعية والطبيعية التي يجدون أنفسهم فيها¹.

لقد كانت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تبحث عن حقل تجريبي لاختبار فرضياتها العلمية المستمدة من نتائج النظرية لبعض المستشرقين، فوجدت في المغرب العربي حقلاً ممتازاً وموضوعاً سوسيولوجياً² وقد ارتبطت مقاربتها بالمرحلة الاستعمارية، فغلبت عليها الصفة الكولونيالية³ وهذا ما أدى إلى ميلاد الكثير من الدراسات الانثروبولوجية التي خدمت الاستعمار أحسن خدمة وذلك لتوطيد هيمنته على الشعوب⁴ لأن الانثروبولوجية تعميمية اختزالية في نظرتها إلى الثقافة المغربية، إضافة إلى أنها تسمح برؤية أشياء وتغيب أخرى⁵ هذا لا ينفي أن بعضها كان له أهمية في دراسته على بلاد المغرب⁶ ففي بادئ الأمر كانت الدراسات الكولونيالية تدور حول السكان المستقرين الذين ينتمون إلى الأصول البربرية⁷.

¹ - إيمان عبكة، نقص الرؤية الكولونيالية والبحث عن الذات في رواية معارضة الغريب لكمال داود، مقارنة على ضوء الدراسات ما بعد، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص أدب جزائري، جامعة عبد الرحمان ميرة - بجاية كلية الأدب والعلوم الإنسانية، 2016/2017، ص 11.

² - بلعباس الهواري: المجتمع القبلي المغاربي بين النظريتين الخلدونية والانقسامية (دراسة نظرية تطبيقية مقارنة)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص الخلدونية وعلم الاجتماع السياسي للإسلام، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية، 2009/2010، ص 57.

³ - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 37.

⁴ - نور الدين غوالي وآخرون: مجلة الإنسان والمجتمع، العدد 02، ديسمبر، 2011، ج2، ص 49.

⁵ - يحيى بن الوليد، القريب والبعيد، مئة عام من الانثروبولوجيا في المغرب، مجلة عمران، العدد 6/8، ربيع 2014، ص 160.

⁶ - أبو بكر قادر وحسن رشيق، الانثروبولوجيا في الوطن العربي، دط، دن، دت، ص 165.

⁷ - محمد نجيب لو طالب، المرجع السابق، ص 35.

ومن الأعمال التي درست هذا المجال أعمال هانوتو لوتورنو اللذان قاما بدراسة التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبائل في كتابهما المسمى (بلاد زواوة وعوائدهم)¹ بالإضافة إلى المستشرق سبينوز الذي نشر كتاب سماه (مساهمة في درس العرف البربري في المغرب)² وغير ذلك من الدراسات المونوغرافية التي ركزت على القبائل وخصائصها، وإن دل على شيء فإنما يدل على أن القبيلة كانت تشكل عقبة حقيقية وعسيرة في وجه محاولات التسرب الأجنبي، لذلك أصبح من الضروري الاقتراب منها علميا من أجل التعرف على أوضاعها المجتمعية³، ولعل أهم عمل في هذا المجال هو ما قام به المستشرق الفرنسي الفريد لوشاتاييه، لما أسس بعثة علمية فرنسية بالمغرب سنة 1904⁴ وقد اعتمدت هذه البعثة على تأسيس رحلات الاستكشاف والملاحظة، وقد عينت فيها على الدراسات التاريخية للمنطقة خاصة منها التضاريس وعادات وتقاليد القبائل المغربية⁵، وقد اختلفت هذه الرحلات من حيث مدة المسار، لكن كان هدفها واحد وهو التوغل داخل المغرب وتدوين الملاحظات والمشاهد⁶.

ومن أشهر الرحلات نذكر رحلة شارل دوفوكو (استكشاف المغرب)، وقد بين من خلال رحلته أن المغرب موزع في قسمة ثنائية (بلاد المخزن/ بلاد السبيبة)⁷ فبلاد التي

¹ - بلعباس الهواري، المرجع السابق، ص 68.

² - الحسان بن إبراهيم بوقدون: أثر الاستشراق في تشكل القوميات العرفية في الأمة، دراسات استشراقية، العدد العاشر، شتاء 2017، ص 157.

³ - المختار الهراس: القبيلة والسلطة تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، دط، المركز الوطني للتنسيق والتخطيط البحث العلمي، د ت، ص 25.

⁴ - الحسان بن إبراهيم بوقدون، المرجع السابق، ص 157.

⁵ - نور الدين غوالي وآخرون، المرجع السابق، ص 50.

⁶ - محمد مزيان: المغرب في الأدبيات الكولونيالية الفرنسية ومشروعية الغزو والإلحاق، مجلة عمران، العدد 5/17، صيف 2016، ص 115.

⁷ - سعيد سعيد العلوي: صورة المغرب في الإستشراق الفرنسي المعاصر، مجلة الاجتهاد العدد 25، السنة السادسة، 1415هـ / 1994م) دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ص 105.

تعني الحكومة المركزية تقوم بعمل فرض الضرائب، يحكمها ولاية وتحترم فيها القوانين، أما بلاد السيبة؛ فهي بلا حكومة عاجزة تقطنها القبائل المتمردة وتظل في صراعات وحروب¹.

وفي هذا المجال لا يسعنا إلا أن نذكر ميشوبلير في هذه البعثة والذي يعتبر من أهم رواد المدرسة الفرنسية، فقد كان يشرف على "سلسلة من مدن وقبائل المغرب" هذه السلسلة التي كانت تصدر من طرف منابر علمية ومجلات متخصصة ارتبطت بهياكل البعثة العلمية² بالإضافة إلى إشرافه على مجلة العالم الإسلامي التي كانت تنشر أبحاث تتعلق بتطور المؤسسات في مختلف البلدان الإسلامية³، كما عمل أيضا على ترجمة المخطوطات المتعلقة بالقانون والقضاء وتأليف العلماء المسلمين⁴.

ويرى ميشوبلير أن المغرب ينقسم إلى قسمين اثنين من القبائل: النوع الأول القبائل البربرية، أما النوع الثاني فهي القبائل العربية⁵ وقد انطلق في دراساته التي أجراها حول المغرب وفق أطر ثنائية فأصبح مقسما ما بين بلاد المخزن وبلاد السيبة، العرب والبربر، السهل والجبل، المدينة والبادية، الشرع والعرف، الاستبداد والديمقراطية⁶، وبين أن خضوع قبائل المغرب لهذه الثنائيات أدى إلى نشوء صراعات جدلية بين هذه القبائل⁷.

وقد عالج ميشوبلير القبيلة البربرية ونظر إليها من جهة نظام الدين والتقاليد وتبين له أنها لم يصبها التغير والتبدل منذ زمن قديم، أما عندما نظر إليها من جهة علاقتها

¹ - محمد مزيان، المرجع السابق، ص 119.

² - نفسه، ص 117.

³ - الحسان بن إبراهيم بوقدون: المرجع السابق، ص 157.

⁴ - محمد مزيان: المرجع السابق، ص 120.

⁵ - سعيد بنسعيد العلوي: المرجع السابق، ص 155.

⁶ - المختار الهراس: المرجع السابق، ص 26.

⁷ - بو طالب: المرجع السابق، ص 92.

بالسلطة المركزية فتيين له أن سلطة السلطان على بلاد البربر لا وجود لها وكانت اسمية¹، وأما ممثل المخزن فليس له حق في التدخل في شؤون القبيلة، كما أقر بأن القبيلة العربية مغايرة تماما للقبيلة البربرية سواء من ناحية الدين والأعراف أو من ناحية علاقاتها مع المخزن².

وقد تحدث ميشوبليير عن المجتمع القبلي وطرح مختلف مستويات الحياة القبلية ودرسها كأنها منعزلة ومنفصلة عن بعضها البعض، فبدأ بالمعتقدات الدينية إلى الثياب والسلاح واللغة ثم درس الحياة الاقتصادية والسياسية، وقد أعطى لكل هذه المستويات نفس القيمة المعرفية³.

عرف ميشوبليير المخزن على أنه الوجه السياسي للمغرب، شبهه بالهرم فقمته في السلطات وقاعدته هي القبائل العربية⁴، أما السببية فهي رفض السلطة المخزن⁵، كما عالج عالج أيضا مظاهر العنف والمواجهات الحادة بين المجموعات القبلية⁶ ولكن درسها دون تحليل معمق⁷.

ومن بين رواد المدرسة الفرنسية أيضا نذكر المستشرق الفرنسي روبر مونطاني (1893/1954) الذي طرح المجتمع القبلي، وفق منظور نظري، وقد وقف عن رصد الوقائع ووصف العناصر والمظاهر المختلفة للحياة القبلية⁸، انطلاقا من البيانات

¹ - الهراس: المرجع السابق، ص 116.

² - نفسه، ص 118.

³ - نفسه، ص 27.

⁴ - سعيد سعيد العلوي: المرجع السابق، ص 119.

⁵ - نفسه، ص 126.

⁶ - مرموقة منصور: القبيلة والسلطة والمجتمع في الجزائر بحث أنثروبولوجي في المجال السياسي التيهرتي، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، 2009/1010، ص 70.

⁷ - بو طالب، المرجع السابق، ص 57.

⁸ - الهراس، المرجع السابق، ص 28.

الاجتماعية والسياسية¹، ذلك في كتابه (البربر والمخزن)، فهو يعتبر أول وصف منهجي موسع للأطلس الكبير²، درس فيه علاقة البدو والبربر والقبائل بالدولة المركزية³ كما اعتمد في كتابه على معاينة الواقع دون أن تخضع دراسته لإطار ابستمولوجي سابق وقد سجل ملاحظات عدة نذكر منها: أن بعض القبائل بالرغم من انتمائها إلى جد مشترك إلا أنها بقيت غير متجانسة، بالإضافة إلى أن بعض القبائل سيطرت عليهم قادة وكانوا يسيطرون نفوذهم على مناطق شاسعة، كما لاحظ أن داخل القبيلة الواحدة توجد فئات وحلقات أخرى كالأخماس واللف⁴ فاللف يعني الحزب أو الطائفة⁵ وحسب مونطاني أن اللف هي إمكانية التحالف بين القبائل المتباعدة أو بين العائلات والأشخاص بغض النظر إلى الوحدة الإقليمية لهذه الوحدات⁶، كما اعتبر قرية صغيرة متكونة من عشرين إلى ثلاثين أسرة، وهذه القرى الصغيرة تشكل قرية كبيرة تتميز بتوفرها على مخزن للحبوب ومسجد⁷.

كما أشار مونطاني أن القبيلة هي كل ما يتحدد في وحدة التسمية ومجال العيش ووحدة التقاليد والأعراف وليس ما يتحدد في وحدة الجد المشترك فقط⁸، كما صور القبيلة

¹ - أبو بكر قادر وحسن رشيق، المرجع السابق، ص 179.

² - أحمد التوفيق: المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850-1912)، ط3، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة رسائل وأطروحات رقم 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1432/2011، ص 107.

³ - أبو بكر قادر وحسن رشيق، المرجع السابق، ص 165.

⁴ - ليليا بنسالم : التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير، حصيلة وتقييم ضمن كتاب الانثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط1، المغرب العربي، دار توبقال للنشر، 1988، ص 23-24.

⁵ - علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب نموذج اكيث باعمران، ط1، دار توبقال، للنشر، 1989، ص 48.

⁶ - عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص 20.

⁷ - أحمد التوفيق، المرجع السابق، ص 107.

⁸ - بو طالب، المرجع السابق، ص 57.

المغربية وقال بأنها لم تكن مرتبطة بالترحال بل كانت متعلقة بالأرض وزراعتها¹، أكد مونطاني أن الوحدة الاجتماعية والسياسية الأساسية هي تاقبليت التي هي أكبر من الموضع وأصغر من القبيلة² كما تسمى أيضا الجماعة فهي الدعامة الأساسية لاستمرار الحياة والقبيلة وذلك لحيويتها وفعاليتها في الدفاع عن حقوقها في الأرض، كما كانت تقوم بتنظيم الأعمال الزراعية والمبادلات³.

أما الحياة السياسية فكانت تجري في إطار تاقبليت فقد كانت تجري فيها النظام القانوني والاجتماعية، فهي بمثابة الدولة المصغرة، فالوحدة التي تكبرها هي القبيلة⁴ وقد تعددت التسميات المعطاة لها، فاسم "تاقبليت" في الأطلس الكبير واسم "العرش" عند القبائل و"الخمس" عند الريف والجبالة⁵.

وقد لاحظ هنا عبد الله الحمودي أن روبر مونطاني حافظ على كلمة تاقبليت وأعطاه مكانة ثابتة في السلم الهرمي للوحدات التي تشكل ما تسميه بالقبيلة، كما لاحظ أنه يستعمل في كتاباته على الكلمات التالية: قسم، جزء من قسم، قبيلة وكان متحفظا دائما بكلمة (لف- موضع)، لكنه يحذف كلمات أخرى (الفخذ وغير ذلك)⁶.

وقد لاحظ مونطاني أن القبيلة ببلاد المغرب تمر بثلاث مراحل: المرحلة الأولى تسمى الجمهورية المستقلة، وتكون فيها العدالة سائدة بين الأبناء، أما المرحلة الثانية يسودها الاستبداد والزعامة وذلك بسبب الأعمال الذي يقوم بها الشيخ أو المقدم من

¹ - عبد اللطيف أكنوش: المرجع السابق، ص 19.

² أحمد التوفيق: المرجع السابق، ص 108.

³ الهراس: المرجع السابق، ص 29.

⁴ أحمد توفيق: المرجع السابق، ص 109.

⁵ الهراس: المرجع السابق، ص 30.

⁶ عبد الله حمودي: الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية، خطوة في طريق تأسيس خطاب انثروبولوجي مستقل، مجلة عمران، العدد 19، المجلد الخامس، شتاء 2017، ص 40.

استحوذ على الذعائر المفروضة داخل الجناة ثم المرحلة الثالثة والتي تخضع فيها القبيلة إلى المخزن، وهنا تظهر العداوة بين الطرفين¹.

بالإضافة إلى جاك بيرك الذي يعتبر من كبار المشرفين الذين تحدثوا على القبيلة ببلاد المغرب، فقد شملت دراسته قبائل سكاوة التي كانت تقطن بالمغرب، وقبائل الأطلس، وعند دراسته لهذه القبائل استعمل المنهج التاريخي، لأن التاريخ عند بيرك هو المنطق والنتيجة²، وقد سعى إلى تجاوز الظواهر السطحية من أجل التعرف على الحقائق الخفية³.

وقد ذكر محمد نجيب بو طالب أن بيرك استطاع أن يوطن أثناء دراسته للمجتمعات علم الاجتماع الدور كاي في جمع المستويات الاجتماعية كالعادات والتقاليد والمعتقدات⁴، حتى وصل إلى استعمال الإيكولوجيا (الأرض) والاقتصاد، وقد اعتبر أن كل هذه العناصر المتفاعلة فيما بينها تشكل نظاما أو نسقا اجتماعيا⁵.

كما أنه انتقد ورفض الدراسات التي تدعو إلى فكرة أن الأصل المشترك هو الذي تقوم عليه القبيلة⁶، كما أنه طرح فكرة أن اللجوء إلى الجد المشترك الذي ينتمي إليه السلالة، وعبر عنها بأنها مجرد وهم تتبناه السلالات، وفسر ذلك بأنه من الممكن أن تتقاطع الأصول بعده، لا حصر له، فالتسمية المشتقة من الجد المشترك تخفي تنوعا كبيرا في أصول السكان⁷ وقد أكد ذلك بأنه هناك بعض القبائل قد تختلط وتندمج معها عناصر

¹ عبد اللطيف أكنوش: المرجع السابق، ص 20.

² بلعباس الهواري: المرجع السابق، ص 72.

³ المختار الهراس: المرجع السابق، ص 30.

⁴ بو طالب: المرجع السابق، ص 57.

⁵ المختار الهراس: المرجع السابق، ص 36.

⁶ مرموقة منصور: المرجع السابق، ص 71.

⁷ جاك بيرك: في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، ضمن كتاب الانثروبولوجيا والتاريخ، المرجع السابق، ص 114.

عناصر خارجية من أصل ونسب مغاير¹، ويكون هنا الجد من أصل خارجي²، فالنسب السلافي يلعب دور الانشطار والانصهار³ فالانصهار حسب جاك بيرك يعني به دخول عناصر جديدة ذات أصل خارجي، أما الانشطار فيعني به التفرقة أو التجزئة التي تمس الوحدات وتجزئها إلى أجزاء ترابية أو معنوية، كالمداشر والأحزاب⁴.

يرى بيرك أن البيئة (قطعة الأرض) هي العامل الأساسي الذي تبنى عليه الجماعات القبلية، فكلما اتسعت قطعة الأرض اتسع حجم الجماعات القبلية⁵ بحيث لا يمكن في نظره فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية دونما ردها إلى ما يقابلها على مستوى مورفولوجية الأرض⁶.

وعند دراسة بيرك لمجتمع سكساوة في منتصف القرن العشرين، انطلق من الحاضر باعتباره نهاية تطور وقع في الماضي⁷ وقد لاحظ أن نظام اللف غير موجود في المجتمع السكساوي، هذا ما جعله يتعارض مع مونطاني في هذه الفكرة الذي ادعى أن هذا النظام ينطبق على كل القبائل البربرية⁸ وبالتالي لا وجود للتحالف عن طريق اللفوف⁹.

¹ بلعباس الهواري: المرجع السابق، ص 74.

² ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 36.

³ عبد اللطيف أكنوش: المرجع السابق، ص 25.

⁴ جاك بيرك: المرجع السابق، ص 118.

⁵ عبد اللطيف أكنوش: المرجع السابق، ص 24-23.

⁶ المختار الهراس: المرجع السابق، ص 34.

⁷ أحمد التوفيق: المرجع السابق، ص 111.

⁸ المختار الهراس: المرجع السابق، ص 34.

⁹ أكنوش: المرجع السابق، ص 24.

كما وجد بيرك أن مجتمع سكساوة يقوم على نظام البيئة العقارية لأنها كانت تمارس النشاط الزراعي وأساليب توزيع المياه وغيرها من الأنظمة الاقتصادية الأخرى¹.

وقد لاحظ بيرك أن أسماء القبائل المغربية لم تعرف تغيرات كبيرة منذ قرون، وأن هذه الأسماء ليست غلا رموز اسمية لكي تفرق الساكنة بين المجموعات المعترف بها² وقد أشار إلى أن الاضطراب الذي أحدثه التجميع العشوائي لأسماء القبائل وفروعها أدى إلى نقص في الدراسات الإحصائية والجغرافية لهذه القبائل³، وهنا دعا إلى ضرورة وأهمية وأهمية دراسة الأسماء ومعرفة أعضائها وانحدارها عن جدها الأول⁴ لأن بهذا الشكل تحدد شخصيات الأفراد والجماعات مواقعها، وتؤكد وجودها وتعترف بغيرها⁵.

وقد تتبع بيرك كلمة القبيلة وتاريخها في الوثائق الرسمية الفرنسية التي ارتبطت باحتلال الجزائر، فوجدت كتاباتهم مرتبطة ببارك الإنجيل تركة الإدارة التركية موضوعه تحت تسمية (عرش) أو (القبيلة)⁶.

فقام بتشريح البنية القبلية في كتابه "البنى الاجتماعية في الأطلس الكبير" واستنتج من خلاله أن القبيلة أو تاقبلت هي البنية السياسية الأساسية داخل المجتمع⁷ وقد اعتبرها كيان قائم بذاته مرتبط بالبنية الإيكولوجية لأن تكوينها مختلط بحكم اختلاف الأصول الجغرافية المتعايشة هناك وليست مبنية على أساس وحدة العائلة، وهنا لا يمكن تحديد

¹ الهراس: المرجع السابق، ص 34.

² عبد الله الحمودي: المرجع السابق، ص 30.

³ بو طالب: المرجع السابق، ص 57.

⁴ الهراس: المرجع السابق، ص 35.

⁵ جاك بيرك: المرجع السابق، ص 121.

⁶ نفسه: ص 113.

⁷ بلعباس الهواري: المرجع السابق، ص 73.

الروابط الاجتماعية داخل القبيلة، وذلك بسبب التضخم والتشعب والشيء الوحيد الذي يوحدهم هو الإطار الجغرافي الذي يعتبر القاسم المشترك والحد الفاصل¹.

ومن جهة أخرى تكلم بيري عن السبية وقال عنها أيضا أنها محكومة من طرف البيئة والإقليم، فبمجرد أن يفرض المخزن عليها الضرائب، وترفض السبية ذلك، فإن طبيعة الإقليم هي التي تمكنها من ضمان هذا الرضا لأنها تحس أنها تنتمي إلى مجموعة أكبر وهي الأمة الإسلامية².

كما نشطت المدرسة الفرنسية أيضا في قضية العرب والبربر، وراح جل مؤرخوها للكتابة عن الظاهرة، وملئت الاستغرافيا الاستعمارية نشاطها بهذه القضية³ حيث كانت جل كتاباتهم بعيدة كل البعد عن الموضوعية والتحيز، فقد كان المؤرخون الاستعماريون يخضعون تاريخ المغرب إلى الدعاية الفجة، وكان هدفهم من وراء هذا هو تبرير وجودهم داخل الأراضي المغربية⁴.

فقد عملت الكتابات الاستعمارية حول هذا الموضوع على تبيان أن بلدان المغرب مقسمة في سكانها بين العرب والبربر، وهنا كان هدفها هو إظهار التعارض وإحداث التفرقة بين السكان⁵، وقد وضحت ذلك جان فافري وقالت بأن هناك محللون فرنسيون

¹ الهراس: المرجع السابق، ص 35.

² أكنوش: المرجع السابق، ص 26.

³ بنسالم حميش: العرب والبربر في التاريخ الاستعماري، د ط، جريدة الاتحاد الاشتراكي، 13 أكتوبر، 1995، ص 02.

⁴ عبد السلام همال: هجرة قبائل بين هلال وبنو سليم إلى المغرب منتصف القرن 05هـ/11م من خلال كتابات بعض بعض مؤرخي المدرسة الاستعمارية الفرنسية (1830/1962)، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس (389/1427هـ / 1007/2007م)، المسيلة أيام: 11/10/9، أبريل 2007، ص 285.

⁵ بو طالب، المرجع السابق، ص 111.

حرروا مقالاتهم، وأكدوا على استحالة التعايش بين العرب المستبدين والبربر والديمقراطيين داخل الدولة الواحدة¹.

كما دافعت الكتابات الفرنسية أيضا على ثنائية القبيلة والمدينة على أساس أنها قطيعة مفترضة بين البدو والحضر، فالمدينة شبهوها بجزر معزولة تحاصرها مجموعة من القبائل الثائرة².

ومن المؤرخين الفرنسيين الذين برزوا في هذا المجال نذكر غوتي الذي أطلق في شأن هذين العنصرين -العرب والبربر- أحكاما عنصرية ومهينة فقد قال: {هذا الجنس البربري عبارة عن وعاء فاسد، البربر منذ ثلاثة آلاف سنة لم يكونوا شعبا..}³، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن نموتي كان متعلق بالمشروع الاستعماري لا بالحقيقة التاريخية⁴، فقد ذهب إلى تفسير تاريخ المغرب الوسيط على أساس صراع مستديم قائم بين المقيمين والرحل⁵.

كما كانت هناك أبحاث أخرى درست ظاهرة الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب ومن هذه الأبحاث نذكر الباحث ارنست مرسى، فقد اعتبر هذه الهجرة، هجرة وليست غزوا، بالإضافة إلى الباحث جورج الهادي إدريس الذي وصف الهلاليين بالبدايين⁶.

¹ جان فافري: التقليدوية والتحديث المعاق، ضمن كتاب الانثروبولوجيا والتاريخ، المرجع السابق، ص 88.
² محمد المنصور: المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792 / 1822، تر: محمد هبيدة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 2006، ص 32.
³ بنسالم حميش: المرجع السابق، ص 02.
⁴ عبد السلام همال، المرجع السابق، ص 295.
⁵ بنسالم حميش: المرجع السابق، ص 02.
⁶ عبد السلام همال: المرجع السابق، ص 308.

الانتقادات الموجهة للمدرسة الفرنسية:

خلال دراسة محمد نجيب بو طالب، عن الكتابات الفرنسية التي كتبت حول المجتمعات المغربية، اكتشف أن جل الدارسين كانوا متحيزين في تفسير الواقع الاجتماعي والدين والثقافي، بالإضافة إلى نقص مرجعيتهم حول تاريخ المنطقة¹. حيث تم التركيز في البدء على البربر والسكان المستقرين، كما ركزوا على إثبات الانقسام السياسي داخل القبائل، وأكدوا على وجود تحالفات مدمرة يحكمها قانون الف و هذا حسب ما جاء به مونطاني² أي أن فكرته تتطوي على إثبات الركود الاجتماعي والانقسام السياسي³.

بالإضافة إلى عمل جاك بيرك المبني على التعارض التاريخي بين البربر والعرب والمخزن والسيبة⁴، كما أقرّ أنه لا يوجد تعارض وانقطاع بين فاس العاصمة الحضرية و قبيلة سكساوة الموجودة في الأطلس الأعلى المغربي، والتي هي بالأصل رقعة بربرية ومدشر جبلي⁵.

ومما يؤخذ عن هذه الدراسات أنها كتبت من زاوية المصالح الاستعمارية وكانت جل هذه الأبحاث ترعاها الإدارات الاستعمارية⁶.

¹ بو طالب: المرجع السابق، ص 35.

² بلعباس الهواري: المرجع السابق، ص 55.

³ بو طالب: المرجع السابق، ص 36.

⁴ بلعباس الهواري: المرجع السابق، ص 57.

⁵ بو طالب: المرجع السابق، ص 36.

⁶ تركي علي الربيعو: المرجع السابق، ص 153.

ب)- المدرسة الأنجلوساكسونية الانقسامية ونظرتها للقبيلة المغربية

عرفت الأنثروبولوجيا الأنجلوساكسونية منذ الحرب العالمية الثانية تقديم دراسات حول الشؤون الاجتماعية والسياسية المغربية، وقد انبثقت عنها النظرية الانقسامية التي تعتبر من أشهر النظريات التي تحدثت حول القبيلة والمجتمع بالمغرب¹ ويمكن أن نطلق على الانقسامية اسم التجزئية segmentaire وهذا ما نلاحظه في المقال الذي كتبه علي صدقي ازيكوا، فقد استعمل كلمة التجزئية بدل الانقسامية².

وقد ربط بول باسكون مصطلح الانقسامية segmentarite بعلم الحيوانات zoologie وشرحها بأن هناك حيوانات تستطيع أن تنقسم عن نفسها إلى جزئين، هذين الجزئين يستطيعان العيش والحياة³، حيث طبق هذه النظرية على المجتمعات الانقسامية، لأن هذه المجتمعات تنقسم وتشطر فيما بينها بصفة لا متناهية وتلك الأجزاء التي انشطرت تبقى تنتج باستمرار وذلك عن طريق الانصهار والاتحاد⁴.

- جذورها التاريخية:

يجمع جل الباحثين أن أول من استعمل مفهوم الانقسامية لدراسة المجتمعات هو دوركايم، وذلك في أطروحته "تقسيم العمل الاجتماعي"⁵ وركز عمله هذا على تحديد العلاقة بين الفرد والمجتمع، وقد قدم فيه أن المجتمعات تتمثل تدريجيا عبر نمطين هما: التضامن الآلي والتضامن العضوي⁶ فالتضامن الآلي حسب دوركايم هو شكل من أشكال

¹ إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 119 - 220.

² علي صدقي ازيكوا: حول النظرية التجزئية مطبقة على المغرب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المرجع السابق، ص 10.

³ بلعباس الهواري: المرجع السابق، ص 59.

⁴ عبد اللطيف أكنوش: المرجع السابق، ص 21.

⁵ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 11.

⁶ عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، د ط، علم المعرفة، الكويت، أوت 1981، ص 82.

التماسك والترابط بين الأفراد والجماعات في المجتمع الانقسامي، أما التضامن العضوي في رأيه أقل جدوى في المجتمعات المعقدة وغير الانقسامية¹، وهكذا فإن المجتمعات ذات التضامن اللّالي تكون متشابهة ومتباينة فيما بينها² فالتنظيم الانقسامي بالنسبة لدوركايم يأتي في صورتين إما أن تكون العشائر على شكل سلسلة خطية يعني أنها تكون جنباً إلى جنب، أو أن تكون على شكل دوائر متداخلة متسعة بحيث يمكن الانتقال داخلها من الفرد إلى القبيلة، وتتلخص أهم خصائص هذه المجتمعات بأن العمل المقسم عليها ضعيف، وأن الملكية تكون فيها مشاعة وجماعية بالإضافة إلى أن علاقات العائلة والنسب تكتسي أهمية كبيرة، وتحتل موقع مركزي في المجتمع، كما تتميز أيضاً بالوحدوية والتضامن وذلك لتشابه نفس العناصر³.

كما يمكن رجع جذور الانقسامية إلى أعمال هانوتو و لوتورنو في كتابهما "القبائل والعادات القبائلية 1872"، بالإضافة إلى أعمال ماسكري ودراسته حول "نشأة الحواضر لدى السكان المستقرين بالجزائر 1886"⁴.

وفي إطار حديثنا عن أصول وجذور النظرية وأصولها، لا يمكن أن ننسى العمل القيم الذي قام له ايفانز بيرشارد حول قبائل النوير بالسودان⁵، فتناولت دراساته الأنظمة الاقتصادية والرعية وممارساتهم الاجتماعية والأسرية وحياتهم ودينهم⁶، لاحظ أن العمل لدى هذه القبائل وتقسيمه بسيط جداً⁷ أي أن ما يعمل الفرد لنفسه يعمل الآخرون

¹ بسام الجمل: من الرمز إلى الرمز الديني بحث في المعنى والوظائف، والمقاربات، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس (وحدة البحث في المتخيل)، جانفي 2007، ص 101.

² المختار الهراس: المرجع السابق، ص 39.

³ أحمد شتراك: سوسيولوجيا المغرب المقاربة الانجلوساكسونية، نموذج أسامية واتريورب، ط2، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات والثقافة، المغرب، 2015، ص 26.

⁴ ليليا بن سالم: المرجع السابق، ص 12.

⁵ بو طالب: المرجع السابق، ص 42.

⁶ أبو بكر قادر وحسن رشيق: المرجع السابق، ص 40.

⁷ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 13.

لأنفسهم¹، كما أنها تتميز بالملكية المشاعة والجماعية، وأن التفاوت في النظام الاقتصادي منعدم تماما².

وما يلاحظ أن القبائل النوير قائمة على نفس الأسس الانقسامية، فهي تتسم بتداخل الوحدات القبلية في بعضها البعض، على شكل دوائر فتتطلق من الفرد وصولا إلى الاتحادية القبلية³.

تعتبر القبيلة أهم وحدة عائلية وسياسية لدى قبائل النوير، وتمثل السلالة الأبوية أساس نظام القرابة، حيث تقول ليليا بنسالم في هذا الصدد "تمثل السلالة الأبوية أساس نظام القرابة الذي يعتمد على التنظيم السياسي العائلي لدى النوير، وينتمي الأفراد في مستوى أول إلى القبيلة، وينتمي الأفراد في مستوى ثان إلى العشيرة، أي هناك سلالة"⁴، وقد لجأ الإنقساميون الذين أخذوا من قبائل النوير كنموذج للظاهرة الانقسامية، إلى تقسيمها وفق هذه المقولة، (أنا ضد أخواني وهم وأنا ضد أبناء عمي وأنا وأخواني وأبناء عمي ضد العالم)⁵، وعلى أساس هذا يتبين أن الانقسامية تركز على عملية: الانشطار والانصهار⁶، فحسب بيرتشارد أن الانشطار يعني تعارض القسامات الاجتماعية فيما بينها، أما الانصهار يعني تحالف الفئات على مستوى نفس العشيرة لمواجهة أي خطر خارجي⁷ مثال: إذا حدث صراع بين قبائل النوير وقبيلة دنكا مثلا، فإن جميع قبائل النوير تهب لتدافع عن نفسها ضد قبيلة دنكا هذا ما يسمى بالانصهار، أما عملية الانشطار،

¹ موريس غودوليه: القبائل والكيانات الأثنية، مجلة عمران، العدد 15، المرجع السابق، ص 157.

² ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 13.

³ الهراس: المرجع نفسه، ص 40.

⁴ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 13-14.

⁵ أحمد شرك: المرجع السابق، ص 27.

⁶ الهراس: المرجع السابق، ص 41.

⁷ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 14.

فتحدث عندما يكون الصراع محلي داخل قبائل النوير فهنا يكون الصراع بين العشائر أو السلالات أو العائلات¹.

إن المجتمع النويري مجتمع انقسامي بالدرجة الأولى، لأنه يعتمد ويرتكز في آن واحد على عملية الانصهار والانشطار².

وقد أجريت عدة دراسات أنثروبولوجية أنجلوساكسونية على مجتمعات القبائل العربية مثل دراسة بترس وسليم ومورفي، ولاحظوا أن القبائل العربية لها نفس خصائص الطابع الانقسامي، حيث يقوم نظامها على شكل الهرمي، القبائل ثم العشائر ثم السلالات ثم العائلات، كما أنها تعتمد على مبدأي الانشطار والانصهار، وهنا لا حظ بارط بأنه كان شائعا هناك الزواج ببنت العم، وهذا ما يعزز التلاحم الداخلي ويقص من عوامل الانقسام، أما مرفي وكسدان، فقد أقرّا بأن هذا الزواج يزيد من ظاهرة الانشطار لأنه يشجع على الانغلاق، ويظهر أجزاء صغيرة منعزلة³.

بالإضافة إلى الباحث الأنثروبولوجي الانجلوساكسوني ارنتس كليز الذي يعتبر أول باحث طبق النظرية الانقسامية كنموذج للتحليل في دراسته قبائل الأطلس الكبير الأوسط⁴ المتمثلة في قبائل آيت عطا وعلاقتها بالزاوية الحنصالية⁵ وذلك في كتابه "صلحاء الأطلس" حيث طرح فيه عدة أسئلة منها: كيف يتم المحافظة على النظام في هذه القبائل في إطار غياب السلطة؟ ورأي أن الجواب هو: الطابع الانقسامي الذي بنيت عليه هذه القبائل، والدور الذي تقوم به الصلحاء⁶، حيث لاحظ أن أهم خصائص قبائل

¹ أحمد شتراك: المرجع السابق، ص 28.

² الهراس: المرجع السابق، ص 41.

³ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 18.

⁴ علي صدقي ازايكوا: المرجع السابق، ص 09.

⁵ بونشيش: المرجع السابق، ص 220.

⁶ عبد الله الحمودي: تأملات حول مقولات كلنير، تر: محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التسماني خلو، مجلة دار النيابة، العدد الخامس، السنة الثانية، شتاء 1985، ص 38.

الأطلس الكبير تتمثل في الطابع الانقسامي والطابع الهامشي¹ فالطابع الانقسامي عند كلنير هي كل مميزات المجتمع الانقسامي، وقد ذكرت سابقاً (مبدأ الانصهار والانشطار -الاعتماد على النسب الأبوي- انعدام التراتب الاجتماعي- الملكية المشاعة...)، أما الهامشية فيعني بها تمسك القبائل بالحرية الثقافية والسياسية أمام الحكم المركزي²، أي أنه ترفض النزوع إلى السلطة المركزية³ وتعيش على هامشها⁴، وقد اعتبر كلنير أن العلاقات العلاقات الانقسامية متواجدة أساساً لدى القبائل البربرية على غرار القبائل العربية التي تعرف أقل توافقاً معها⁵، وذلك أن القبائل تكون غالباً ما تنتمي إلى السلطة المركزية أمام القبائل الجبلية (البربرية) قلما تكون كذلك⁶.

وهنا نجد تناقض بين الباحث كلنير وبيترس وسليم ومورفي، فالأول قال بأن القبائل العربية لا تتميز بالخصائص الانقسامية، أما مورفي فأقر أنها تنهض على هذه الخصائص.

فالانقسامية عند كلنير أنها عبارة عن جماعات متداخلة بعضها في بعض وكل نقطة من نقاط هذا التداخل تحدد وحدات من مستوى معين، فمثلاً: القبيلة تشمل على سلالات هذه السلالات، يمكن أن تجمعها نفس المبادئ والخصائص، وهنا تشكل لنا وحد اجتماعية سياسية تتمتع نوعاً ما بالاستقلال⁷ وتكون هذه الوحدات ذات أصول مشتركة

¹ المختار الهراس: المرجع السابق، ص 47.

² ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 11.

³ محمد الطوزي: في القبيلة، واقع متعدد الأبعاد، مجلة عمران، العدد 15، المجلد الرابع، شتاء 2016، ص 31.

⁴ داود تشاتي: القبائل والقبيلة والهوية السياسية في سوريا المعاصرة، مجلة عمران، العدد 15، المرجع السابق، ص 84.

⁵ المختار الهراس: المرجع السابق، ص 47.

⁶ علي صدقي ازايكو: المرجع السابق، ص 11.

⁷ عبد الله الحمودي: الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة ملاحظات حول أطروحات كلنير، ضمن كتاب الانثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 62.

سواء من ناحية النسب أو الموقع الجغرافي، لكن كلنير يعطي أهمية أكبر للنسب، مقارنة بالمجال الجغرافي¹، ويرى بأن النسب غالبا ما يكون من النوع الأبوي².

تأخذ كل هذه الوحدات شكل شجرة التي تنقسم وتتفرع إلى أغصان من غير أن يكون لها جذع رئيسي³، ويقوا كلنير في هذا العدد: "تبدو بنية القبيلة إذا ما نظرنا إليها ككل، شبيهة ببنية الشجرة تنقسم وتتفرع إل فروع مثل الأغصان، دون أن يكون هناك جذع رئيسي، لأن جميع الفروع متساوية ومن جهة نظر الفرد أو الوحدة العائلية مركزا عدد من الدوائر متحدة المركز، العشيرة داخل القرية، القرية داخل جماعة القرى المكونة للعشيرة المحلية والعشيرة المحلية داخل العشيرة الأوسع، وهذا داخل القبيلة وهكذا⁴.

كما تعني الانقسامية عند كلنير على أنها مجموعة من التعارضات المتوازنة التي يتميز بها المجتمع الانقسامي، حيث تكون السلطة في القبيلة متركزة وموزعة عند كل نقطة من البنية القبيلة⁵.

وعند دراسة كلنير لقبائل آيت عطا لاحظ أن المجتمع يتكلم اللغة الأمازيغية، كما كان مجتمع زراعي يعتمد على تربية الغنم والماعز، أما المجال الجغرافي فإن كل فرع من فروع القبيلة يكون غالبا ما يشمل قطع الأرض غير المتجاورة⁶.

¹ عبد الله الحمودي: الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية، خطوة في طريق تأسيس خطاب انثروبولوجي مستقل، مجلة عمران: العدد 19، المجلد الخامس، شتاء 2017، ص 27.

² عبد اللطيف أكنوش: المرجع السابق، ص 22.

³ أحمد شراك، المرجع السابق، ص 38.

⁴ ارنتست كلنير: لسلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، ضمن كتاب الانثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 46.

⁵ علي صدقي ازايكو: المرجع السابق، ص 10.

⁶ عبد الله الحمودي: الداخلي والخارجي في التنظيم للمظاهرة القبلية، خطوة في طريق تأسيس خطاب انثروبولوجي مستقل، المرجع السابق، ص 27.

أما عند دراسة لزاوية حنصالة لاحظ أن السلطة داخل هذه الزاوية تكون للمرابط وللحاكم في نفس الوقت وتكون عن طريق الانتخاب¹.

ومن خلال هذه الدراسات استخلص أن:

1/ هناك قبائل ديمقراطية بنيوية لم يكن لها أي بعد أيديولوجي² وقد أخذ كلنير مصطلح الديمقراطية من هانوتو ولوتورنو³ حيث كانا يستخدمانها عن القبائل ذات اللسان البربري، أما كلنير استخدمها على أن القبيلة تجمع زائل لقسمات تغار على استقلالها لا تميل إلى ديمقراطية أيديولوجية بل إلى ديمقراطية بنيوية⁴.

2/ بنيت القبائل على مبدأ المساواة ولا تعرف أي تراتب دائم⁵ وهذا ما جعلها تمنع من ظهور زعامات قوية، كما تحول بوجه عام دون بروز مؤسسات مختصة بالمحافظة على النظام ومزاولة العنف المشروع، وبعبارة أخرى فإن البنية الانقسامية تتفادى تركيز السلطة⁶.

3/ النسب هو الأسلوب المهيمن وهو الذي يحدد النظام الخاص في العلاقات الاجتماعية⁷ ومن خلاله تكون فيه الأدوار والانتماءات محددة بوضوح⁸.

¹ أحمد توفيق: المرجع السابق، ص 112.

² ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 19.

³ بو طالب، المرجع السابق، ص 49.

⁴ محمد الطوزي: المرجع السابق، ص 31.

⁵ بوتشيش: المرجع السابق، ص 221.

⁶ عبد الله الحمودي: الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداية ملاحظات حول أطروحات كلنير، المرجع السابق: ص 63.

⁷ عبد اللطيف أكنوش: المرجع السابق، ص 22.

⁸ علي صدقي إزاكو: المرجع السابق، ص 16.

4/ تعتمد هذه القبائل على مسألة الرئاسة التي يتميز بمبدأ التناوب والتكامل، ومعناه أن كل قبيلة التي تتكون من عدة عشائر تنتخب رئيس من أحد زعماء تلك العشائر مرة كل سنة والعشيرة التي تقدم الرئيس لا يصوت أفرادها¹، وقد شرحت ليليا بنسالم ذلك بقولها: (يصف لنا كلنير نظام انتخابات رؤساء القبائل على النحو التالي: لنفترض أن هناك ثلاث عشائر أ، ب، ج ففي السنة الأولى ينتمي الرئيس إلى "أ" وينتخب من طرف أعضاء ب و ج، وفي السنة الثانية ينتمي إلى "ب" وينتخب من طرف أعضاء أ و ج، وفي السنة الثالثة ينتمي إلى "ج" وينتخب من طرف أعضاء أ و ب... مبدئياً لا يعاد انتخاب رئيس (شيخ) مرتين متتاليتين، مبدأ التناوب والتكامل)².

وقد بين كلنير أنه عندما تتعلق الانتخابات بوحدة صغيرة (قرية) داخل العشيرة فإن انتخاب الرئيس يتم داخل مجموع هذه القرية وهنا لا يعتمد على مبدأ التناوب والتكامل، أما إذا تعلق الأمر بانتخاب رئيس العشيرة فإن مبدأي التناوب والتكامل يظلان قائمين³، أما فيما يتعلق بمسألة الحفاظ على أمن القبيلة والتحكيم في الصراعات التي تنشأ داخلها فإن سلطة الصلحاء هي التي تقوم بهذه الوظيفة⁴.

5/ اشترط في الصلحاء أن يكونوا مسالمين وكرماء وشرفاء ومحافظين على المعتقدات الدينية⁵، وكان يطلق على الصلحاء اسم الولي، فالولي عند كلنير هو شكل من أشكال التنظيم الديني في الإسلام له فاعلية كبيرة في المجتمع⁶ حيث كانوا يلعبون دوراً مركزياً سواء في الحياة السياسية أو الاقتصادية والدينية لدى القبائل⁷.

¹ بوتشيش: المرجع السابق، ص 221.

² ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 21.

³ ارنست كلنير: المرجع السابق، ص 48.

⁴ عبد الله الحمودي: الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة، المرجع السابق، ص 79.

⁵ أحمد شتراك: المرجع السابق، ص 38.

⁶ بسام الجمل: المرجع السابق، ص 103.

⁷ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 36.

وقد طرح كلنير إشكالية تدور حول ما مدى مساهمة الصلحاء في فصل الخصومات وأكدوا على ضرورة وجودهم في المجتمع الانقسامى، وذلك من أجل تجسيد الإسلام داخل المجتمع القبلى الذى يكون مختصر للأمور الدينية كالقرآن والسنة النبوية. وقد حصد كلنير أهم الوظائف التى يقوم بها الصلحاء داخل المجتمعات القبلية، وهى:

- الوظيفة السياسية إذ يشرف الصلحاء على تعيين شيوخ القبائل، كما أنه يرسم نفوذ السلطة السياسية بما أن مكان إقامتهم عادة ما تكون على الحدود الفاصلة بين نفوذ القبائل المجاورة.

- الوظيفة التجارية: كانوا ينظمون المبادلات التجارية وحماية القوافل التجارية والمسالك الحبية.

- الوظيفة الدينية: تكمن خاصة في المواسم والمناسبات الدينية العديدة¹.

كما اهتم كلنير بنشاط الصلحاء لدى سكان البربر في الأطلس الكبير، فوجد أن الصلحاء يقيمون حول ضريح يعتقد أنه مؤسس الطريقة الصوفية ويرتبط نسبه إلى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم².

كما أنه ينس حياة الصلحاء السياسية وأوضح أنها تختلف عن حياة رؤساء القبيلة، فالرؤساء تختارهم القبيلة، أما الصلحاء فإن اختيارهم من اصطفاء رباني، يباشرون عملهم مدى الحياة وعن طريق التوارث، على خلاف الرؤساء الذين ينتخبون لمدة سنة فقط³.

¹ بسام الجمل: المرجع السابق، ص 103.

² نفسه، ص 105.

³ ارنست كلنير: المرجع السابق، ص 51.

بالإضافة إلى هذه الدراسات التي تناولت القبيلة من منظور انقسامي، توجد دراسة ريموس جاموس، الذي ركزت دراسته على المجتمع الأقليمي خلال القرن 19 حيث قاربه من زاوية انقسامية انطلاقاً من ممارسة ميدانية¹، فقد أكد أنه ليس من الضروري تعميم المنظومة الانقسامية على جميع القبائل، وهنا بينت ليليا بنسالم أن ريموس لا ينفعها بقدر ما يدعوا إلى ضرورة إدخال بعض التعديلات عليها².

حيث أكد أن القبائل الاقليمية في الريف، تركز على المبدأ الترابي (الأرض) أكثر مما تركز على مبدأ القرابة، واعتبر أن المجتمع الريفي يخضع لروابط المكان³ كما أكد أن البنية الانقسامية تتوافق مع العلاقات السلطوية⁴.

كما نجد هذه المقاربة أيضاً عند فالسني عند دراستها للمجتمع القروي التونسي خلال القرن 18 و 19، فرموس جاموس أعطى الأولوية للتراب، أما الباحثة فلانسي طرحت الهيكل القبلي من منظور جينالوجي يشمل التاريخ والسياسة والاقتصاد⁵ وجعلها كإطار عام ينظم داخله المجموعات القبلية وكنسق مرجعي تتعلق به الجماعات وتحافظ عليه باعتباره الدعامة الأساسية لوحدها وتماسكها.

حيث أثبتت أن الفصائل القبلية التي تخضع للتنظيم الانقسامي تتجلى معالمها من خلال:

- الاعتراف بالجماعة واعتبار القبيلة أعلى مستوى للتنظيم الاجتماعي

- الاعتماد على النسب الأبوي

¹ أحمد شتراك: المرجع السابق، ص 36.

² ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 22.

³ الهراس: المرجع السابق، ص 45.

⁴ نفسه، ص 47.

⁵ نفسه، ص 45.

- الاعتماد على الانصهار والانتشار

- المجتمعات القبلية تتميز بتقسيم جنسي بالدرجة الأولى وينعدم فيها التراتب الاجتماعي بسبب البنية الاقتصادية السائدة داخل القبيلة¹.

كما لا يمكن أن ننسى عمل جون واتربوري الذي استعمل المفهوم الانقسامي في ميدان الانثروبولوجيا السياسية² حيث لاحظ أن جل المغاربة من أصل قبلي وأضاف أن الحواضر خضعت هي كذلك للطابع الانقسامي³ وطرح أن المبادئ الانقسامية وعلاقاتها متواجدة على صعيد الدولة العصرية ذاتها⁴، راجع ذلك إلى عجز النظام عن إدخال تغيرات جذرية، وفسرها بأن النظام الانقسامي نظام يسعى دائما إلى تحقيق التوازن الداخلي⁵.

وقد فسر واتربوري توظيف السياسة في المنظور الانقسامي⁶ بقوله: {إن المجتمع المغربي ينحدر من القبيلة، وأن قيم وأنماط السلوك السياسية السائدة فيه، باستثناء ربما وديان الأنهار الكبيرة، ذات طابع قبلي، لذا يمكن أن تساعدنا النظريات التي استعملها باحثون غربيون لدراسة قبائل الشرق الأوسط على فهم ردود الفعل السياسية والاجتماعية في المغرب، يوجد تشابه مثير بين الجهود الداخلي السائد في بعض القبائل والجهود الذي يميز الحياة السياسية المغربية..}⁷.

¹ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 28-29.

² بو طالب: المرجع السابق، ص 43.

³ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 26.

⁴ الهراس: المرجع السابق، ص 49.

⁵ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 26.

⁶ أحمد شتراك: المرجع السابق، ص 44.

⁷ جون واتربوري: أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، تر: عبد الغني أبو العزم وعبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط3، مؤسسة الفني للنشر، الرباط، المغرب، 2013، ص 112.

وقد بين واتروري أن التماسك الذي يحدث داخل القبيلة ليس سببه وحدة الهدف وإنما التوتر والعداوة الموجودة داخل وحداتها، لأنه يضمن استمرارية القبيلة، كما أكد على نظام الزواج الداخلي بنت العم، لأنه يقوم بتعزيز روابط القبيلة وقوتها¹.

وقد أوضح أيضا أن نظام القبيلة لا يمكن أن يتحقق إلا في حالة صراعها (القبيلة) مع قوة خارجية، لأن بوجود الأعداء يمكن أن تستمر القبيلة في تماسكها فالنسب الأبوي ليس قادرا وحده على تأمين التضامن وإنما التوتر هو الحافز الأكثر ضمانا لبقائها².

الانتقادات الموجهة للمدرسة الأنجلوساكسونية:

واجهت النظرية الانقسامية العديد من الانتقادات فعلى سبيل المثال نذكر:

- اعتبرها الخطيبي أنها تجاهلت تاريخ التطور الحقيقي للمجتمعات المغاربية³ كما أنها أعطت للبعد الجينالوجي مكانة بالغة في النسق الانقسامي، لكنها نسيت البعد الايديولوجي والثقافي والديني بالإضافة إلى البعد الاقتصادي والاجتماعي⁴.
- تعتبر النظرية الانقسامية ذات نظام سكوني وقد عبرت عنها ليليا بنسالم قولها (...). إنه لم يعر اهتماما كافيا لمؤشرات التغيير العميق الذي مس البنيات الأساسية بل اعتبر أنها عديمة التأثير بسبب صلابة النظام الانقسامي⁵ ومعناه أنها أهملت البعد التاريخي⁶ التاريخي⁶ بتقديمها للنموذج السكوني للبنية القبلية⁷.

¹ جون واتر بوري، المرجع السابق، ص 113.

² نفسه، ص 114.

³ بو طالب: المرجع نفسه، ص 45.

⁴ أحمد شتراك، المرجع السابق، ص 31.

⁵ ليليا بنسالم: المرجع السابق، ص 32.

⁶ أحمد شتراك: المرجع السابق، ص 33.

⁷ محمد المنصور: المرجع السابق، ص 27.

- تركز على عامل النسب والأرض على أنها المجالان اللذان تبنيان عليهما الوحدات والتحالفات، وتهمل دور الدولة في تشكل القبائل وتطورها السياسي الداخلي¹.

أما عبد الله العروي يعتبر أن الانقسامية لم تستطع المساهمة في إبداع فهم أفضل المجتمعات المغربية²، وقد وضع ضعفها في قوله: {يتجلى ضعف النظرية الانقسامية في الوجهين التاليين: فإما أنها تفرط في الشكلائية إلى حد تفقد معه القدرة على التفسير ولا تقدم بالتالي تعريفا حقيقيا للقبيلة، أو تنحصر في مجال خاص إلى حد التناقض مع نفسها}³.

كما نقد العروي كلنير على أنه لم يتمكن من تضمين المفهوم الانقسامية من كل جوانب القبيلة المغربية، كما أنه وصفه بالتناقض حيث طرح (كلنير) في بداية الأمر أن القبائل تتمتع بالاستقلال الذاتي ثم لجأ إلى ظاهرة الزواية والصلحاء⁴، كما أعابه أيضا عندما حاول أن يجمع بين مفهوم الهاشمية والانقسامية، انطوى على التناقض في تأويل الأساطير والروايات الشفوية التي تؤكد على وجود علاقات مع العالم الخارجي⁵.

وقد وصف العروي الانقسامية بالطفيلية لأنها جددت في مصطلحاتها فقط أما كنظرية فقد كانت من قبل، أي أنها مجرد لإعادة صياغة النتائج السابقة⁶. كما تعرض كلير للانتقاد من طرف الباحث على صدقي ازايكو، حيث اعتبره أنه بالغ عندما قال بأن جميع القبائل المغربية تتوفر فيها شروط الانقسامية⁷.

¹ المودي الأحمر: نمو استعادة المشاهدة من دون حجاب القبيلة، مجلة عمران، العدد 15، المرجع السابق، ص 123.

² بو طالب: المرجع السابق، ص 45.

³ عبد الله العروي: نقد الأطروحة الانقسامية، ضمن كتاب الانثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، المرجع السابق، السابق، ص 128.

⁴ نفسه، ص 129.

⁵ نفسه، ص 130.

⁶ نفسه، ص 131.

⁷ علي صدقي ازايكو: المرجع السابق، ص 17.

ج - النتائج المستخلصة من المقاربتين

- ظهرت النظرية الكولونيالية مع بداية الاستعمار الفرنسي 1830، اما النظرية الأنجلوساكسونية، فقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثاني 1945.
- ذهبت كل من الأطروحة الكولونيالية والأطروحة الإنقسامية إلى أن المجتمع المغربي يتفتت إلى مالا نهاية داخليا وذلك بسبب الثنائيات المتعارضة كالف والصف والعرب والبربر والسيية والمخزن .
- كانت جل دراستهما تنصب حول علاقة الفرد بالمجتمع داخل القبيلة.
- نظر كل منهما إلى أن القبيلة هي البنية الأساسية للمجتمع، وأن المجتمع القبلي، مجتمع تكراري جامد ينتج نفسه باستمرار.
- كلاهما ركزا على النسب، وأهميته داخل القبيلة، باعتباره حقيقة تاريخية.
- كلاهما أهمل الجانب التاريخي للقبيلة المغربية، ولم يدرسا تاريخها كما هو، بل كانا متحيزان في تفسير نظريتهما مع ما يخدم مصالحهما.
- كلاهما ركز على القبيلة من جانبها الاجتماعي، وأهملوا جانبها السياسي.



خاتمة

خاتمة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع، نذكر:

- أن موضوع القبيلة ببلاد المغرب كان مقسم إلى اتجاهين، الأول هو التاريخي يضم مواقف وتعريفات المؤرخين، أما الاتجاه الثاني هو الاتجاه الحديث الذي يضم الدراسات الأنثروبولوجية السوسولوجية.
- أن مصطلح القبيلة مصطلح قديم منذ الأزل، فقد ذكر في القرآن الكريم، وقد عرفه مجموعة من المؤرخين العرب، وتطرقوا إلى مفهومه، حيث بينوا صياغته اللغوية، وأعطوا له عدة شروحات، كما تطرقت إليه العديد من الكتب التاريخية ككتاب ابن خلدون وعلماء الاجتماع الذين تعددت دراساتهم، سواء من ناحية المفهوم أو التنظيم.
- لقد كان لظاهرة الاستعمار لدول المغرب العربي ظهور وميلاد العديد من الدراسات التي عالجت موضوع القبيلة، وعلى اثرها ظهر العديد من الرواد الذين خاضوا في هذا الموضوع، ومن بين هؤلاء الذين تبناوا الطرح الكولونيالي، نذكر، هانوتو ولوتورنو، ألفرد لوشاتييه، شارل دوفوكو، ميشو بلير، روبر مونطاني، جاك بيرك، وكانت دراساتهم في بعض الاحيان تؤيد بعضها البعض، في حين كان هناك تعارض وتناقض، وقد لقيت كتاباتهم انتقادات كبيرة من طرف الباحثين العرب خاصة منهم: نجيب بوطالب.

- تقوم النظرية الانقسامية على الانقسام والالتحام وتعارض القسّمات والتوتر، هذا ما يؤدي إلى النزاعات والحروب، ولكنها تضمن في النهاية استمرارية البنية القبلية

وتجدها، فالانقسام حسب هذه النظرية يؤدي إلى الاستمرار والتوازن بين مختلف الأفراد داخل المجتمع، وقد برز الكثير من رواد هذه المدرسة الذين عالجوا هذا الطرح، نذكر منهم: إيميل دوركايم، بول باسكون، ارنست كلنير، ريموس جاموس، جون واتربوري.



قائمة المصادر والمراجع

القائمة البيبليوغرافية

• القرآن الكريم

أ / المصادر:

1. الجوهرى إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط1، دار العلم للملايين، القاهرة، 1984م، ج5.
2. ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن محمد الاشبيلي، (ت 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (دط)، أعتني به: خليل شحادة، دار الفكر، (د ت)، ج1.
3. الزبيدي محب الدين ابن فيض السيد محمد مرتضى الحسيني (1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: هلي مشري، ج30.
4. الزمخشري أبو القاسم جار الله بن محمود عمر بن أحمد (ت1444هـ)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998هـ، ج2.
5. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ)، لسان العرب، تح: أحمد أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج11.
6. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 723هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: مفيد حميقة وحسن نور الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2004م، ج2.
7. ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي (ت368هـ)، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترچيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ج3.

8. الفيروز أبادي مجد الدين بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيد، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم القرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، 1426هـ/2006م.

9. القلشغندي أبو العباس أحمد (ت812هـ)، نهاية الإرب في معرفة انساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1400هـ/1890م.

ب / المراجع العربية:

10. أكنوش عبد اللطيف، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، (دط)، أفريقيا الشرق، تقديم فرانسوا بول بلان، جامعة الحسن الثاني، (دت).

11. بركات حليم، المجتمع المغربي في القرن العشرين، بحث في تغيير الأحوال والعلاقات، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، جويلية، 2000.

12. بوتشيش إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (دط)، دار الطباعة والنشر، بيروت، (دت).

13. بسام الجمل، من الرمز إلى الرمز الديني، بحث في الملتالاب والوظائف والمقاربات، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس، (وحدة البحث في المتخيل)، جانفي 2007.

14. بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، (دت).

15. التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850-1912)، ط3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 63، مطبعة لنجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، 1432هـ/2011م.

16. حجي محمد، قاموس معلمة المغرب، (دط)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، الرباط، 1425هـ/2004م، ج19.
17. حسن محمد، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، (دط)، دار الرياح الأربع، 1980.
18. خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ - 9هـ / 12م - 15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، ط1، المؤلفات للنشر والتوزيع، حمام الضلعة المسيلة، 1437هـ/2016م.
19. لومبا أنيا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007م.
20. محجوب محمد عبد، الاتجاه السوسيولوجي في دراسة المجتمع، (دط)، وكالة الكويت، (د.ت).
21. المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين، 1792 - 1822، تر: محمد حبيدة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.
22. عبد المعطي عبد الصمد، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، (دط)، عالم المعرفة، الكويت، أوت 1981م.
23. غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، (دط)، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2006م.
24. فهم حسين، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، (دط)، منشورات عالم المعرفة، الكويت، جانفي 1978م.
25. قادر أبو بكر حسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، (دط)، (دن)، (دت).
26. شراك أحمد، سوسيولوجيا المغرب المقاربة الأنجلوساكسونية، نموذج انقسامية واتروبوري، ط2، مؤسسة مقاربات للنشر والتوزيع والصناعات والثقافة، المغرب، 2015.

27. الهراس المختار، القبيلة والسلطة، تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، (دط)، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي، (دت).
28. واتريوري جون، أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، تر: عبد الغني أبو العزم، وعبد الاحد البني وعبد اللطيف الفلق، ط3، مؤسسة الفني للنشر، الرباط، المغرب، 2013م.
29. الوردي علي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ط2، داركوفان، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، 1994م.

ج / الدراسات الجامعية:

30. منصور مرموقة، القبيلة والسلطة والمجتمع في الجزائر، بحث أنثروبولوجي في المجال السياسي التيهري، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، 2009 - 2010.
31. عبكة إيمان، نقض الرؤية الكولونيالية والبحث عن الذات في زاوية معارضة الغريب، لكمال داود، مقارنة على ضوء الدراسات ما بعد، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص أدب جزائري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الرحمن ميرة، 2016 - 2017.
32. الهواري بلعباس، المجتمع القبلي المغاربي بين النظريتين الخلدونية والإنقسامية، نظرية تطبيقية مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص الخلدونية وعلم الاجتماع السياسي للإسلام، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2009 - 2010.

د / المجالات:

33. الأحمر المولدي، نحو استعادة المشاهدة من دون حجاب القبيلة، مجلية عمران، العدد 16، المجلد الرابع، شتاء 2016.
34. ازاكو علي صدقي، حول نظرية التجزيئية مطبقة على المغرب، العدد 14، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1988.
35. سالم حميش، العرب والبربر في التاريخ الاستعماري، (دع)، الاتحاد الاشتراكي، 13-10-1995م.
36. سالم ليليا، التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير، حصيلة وتقييم ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، ط1، دار توبقال للنشر، 1988م.
37. بيرك جاك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي، وعبد اللطيف الفلق، ط1، دار توبقال للنشر، 1988م.
38. بورقية رحمة: حول القبيلة في المجتمع الغربي في القرن التاسع عشر، العدد 14، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1988م.
39. بوقدرون الحسان بن إبراهيم، اثر الاستشراق في تشكل القوميات العرقية في الأمة، العدد 10، دراسات استشراقية، شتاء 2017.
40. تابري ريتشارد، الأنثروبولوجيا والمؤرخون والقبيلة، حول القبيلة ونشوء الدولة في المشرق العربي، مجلة الاجتهاد، العدد 17، السنة الرابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1413هـ / 1992م.
41. تشاني داون، القبائل والقبيلة والهوية السياسية في سورية المعاصرة، مجلة عمران، العدد 16، المجلد الرابع، شتاء 2010.

42. الحمودي عبد الله، الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة، ملاحظات حول أطروحات كلنير، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط1، دار توبقال للنشر، 1988م.
43. الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية، خطوة في طريق تأسيس خطاب أنثروبولوجي مستقل، مجلة عمران، العدد 19، المجلد الخامس، شتاء 2017م.
44. تأملات حول مقولات كلنير، تر: محمد الأمين بزاز التسماني خلو، العدد 05، مجلة دار النيابة، السنة الثانية، شتاء 1985.
45. داود هشام: القبائل العراقية في أرض الجهاد، مجلة العمران، لالعدد 15، المجلد الرابع، شتاء 2016.
46. الربيعو تركي علي، نحو تأسيس أناسة لدراسة المجتمع، البدوي، قبيلة طيء نموذجاً، مجلة الاجتهاد، العدد 17، السنة الرابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م.
47. الطوزي محمد، في القبيلة واقع متعدد الأبعاد، مجلة عمران، العدد 15، المجلد الرابع، شتاء 2016م.
48. كليزا ارنست، السلطة السياسية والوظيفية الدينية في البوادي المغربية ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي، وعبد اللطيف الفلق، ط1، دار توبقال للنشر، 1988م.
49. الكندري يعقوب يوسف، القبيلة والمفاهيم السياسية في المجتمع الخليجي المعاصر، المجتمع الكويتي مثالا، مجلة عمران، العدد 15، المجلد الرابع، شتاء 2016م.
50. مزيان محمد، المغرب في الأدبيات الكولونيالية الفرنسية، ومشروعية الغزو والإلحاق، مجلة عمران، العدد 17، صيف 2016.

51. العروي عبد الله، نقد الأطروحة الانقسامية ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، تر: عبد الأجد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط1، دار توبقال للنشر، 1988م.
52. العلوي سعيد بنسعيد، صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر، مجلة الاجتهاد، العدد 25، السنة السادسة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1415هـ/1994م.
53. غوالي نور الدين وآخرون، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد 02، ديسمبر 2011، ج2.
54. غودوليه مورييس، القبائل والكيانات الإثنية والدول، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 15، المجلد الرابع، شتاء 2016.
55. فافري جان، التقليد والتحديث المعاق، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، تر: عبد الأجد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط1، دار توبقال للنشر، 1988م.
56. همال عبد السلام، هجرة قبائل بني هلال وبني سليم إلى المغرب منتصف القرن 5هـ/11م، من خلال كتابات بعض مؤرخي المدرسة الاستعمارية الفرنسية (1830-1962)، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد، ألف سنة من التأسيس (1427/389هـ).



فهرس المحتويات

الفهارس الفنية:

1 - فهرس الآيات :

السورة	الآية	الرقم	الصفحة
الأعراف	﴿ إِنَّهُ يَرْنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٢٧)	27	07
الشعراء	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤)	214	17
النمل	﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ (٤٨)	48	18
الحجرات	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٣)	13	07
المعارج	﴿ وَصَحْبَتِهِ ۖ وَأَخِيهِ ﴾ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ (١٣)	13-12	18

2 - فهرس الأعلام

الحرف	الشخصية	الصفحة
أ	إزاكو علي صدقي	35، 57
	ألفرد لوشتولييه	24
	اسحاق عليه السلام	07
	أيفانز بيرتشارد	36
ب	بركات عبد الحليم	19
	بنسالم إيليا	37، 42، 44، 46
	بوطالب محمد نجيب	د، 50
	بول باسكون	35
	بيترس	39
	بوتشيش القادري	د، 8، 19
	بيدينجتون	18
ج	جاك بيرك	29، 30، 34، 50
	جاموس ريموس	44، 51
	جان فافري	32
	جورج هادي إدريس	33
	جون واتر بوري	45، 46، 51
ح	الحمودي عبد الله	28
خ	ابن خلدون	ب، 8، 9، 10، 50
د	دوركاييم	12، 35، 36، 51
ر	ابن عبد ربه	8
	رحمة بورقية	13

28، 27، 26 50، 34، 30	روبر مونطاني	
15	ريتشارد تابري	
41، 40، 39 47، 43، 42 51	كلنير	ك
38	كسدان	
41، 36، 24 50	لوتورنو	ل
14	مارشال سهلين	م
13	محمد عاطف غيث	
14	مورغن	
15	موريس غودوليه	
39، 38	مورفي	
50، 26، 25	ميشو بلير	
38، 17، 16	النويري	ن
47	العروي عبد الله	ع
33	غوتي	غ
20، 14	الفضل شلق	
19، 8	القلشقندي	ق
39، 38	سليم	س
41، 36، 24 50	هانوتو	ه

الصفحة	الموضوع
–	شكر وعرفان
–	إهداء
أ – هـ	مقدمة
الفصل الأول: مفهوم القبيلة	
07	أ – لغة
08	ب – اصطلاحاً
08	1 – عند ابن خلدون
11	2 – عند علماء الاجتماع
16	ج – المكوّن القبلي
الفصل الثاني: القبيلة المغربية والأطروحة الاستشراقية	
22	أ – المدرسة الفرنسية ونظرتها للقبيلة المغربية
35	ب – المدرسة الانجلوساكسونية ونظرتها للقبيلة المغربية
48	ج – النتائج المستخلصة من المقاربتين
50	خاتمة
53	قائمة المصادر والمراجع
61	فهرس الآيات
62	فهرس الأعلام
64	فهرس المحتويات